

آسِفِي وَمَا إِلَيْهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا

تأليف
محمد بن أحمد العبدي الكانوني
١٩٣٨ م

الناشر
مكتبة الشقاوة الدينية

الطبعة الاولى
1433هـ-2012
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25922620-25938411 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الكاتونى ، محمد بن احمد العبدى ، 1893-1938
اسقى وما اليه : قديما وحديثا - تأليف: محمد بن احمد العبدى الكاتونى
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، 2012
208 ص ، 24 سم
تدمك : 0-580-341-977-978
ا- المغرب- تاريخ

ديوى: 964

رقم الابداع: 2012-14337

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

نحمدك اللهم على ما أودعت في تصرفاتك من حكمة بالغة وجعلت في تقلبات الأيام والليالي من عظة نافعة ونصلى ونسلم على سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي الذي هديت به بعد الضلالة وعلمت به بعد الجهالة فازدان به نظام الكون واستضاءت أرجاؤه وعلى آله وأصحابه الممثلين سيرته المثى ناشرين آيات شرائعه التي لا تزال على مر الأحقاب تتلى .

أما بعد فإن للسلف على الخلف من الحقوق ما لا يسعه إلا الشكر وحسن القضاء وللوطن على المرء من الواجبات ما لا يجوز في حقه الإعراض عنه أو الإغضاء إذ للأول فضيلة السبقية لتمهيد طريق الحياة والسبب في الوجود وللثاني مزية المثوى فيه والتمتع منه بكل موجود وما أحسن قول الحكماء: إن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه، وإن من علامة الرشد أن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقفة .

وحيث كانت آسفى وما إليها هي بلادى وموضع طارفى وتلاذى
بلاد بها نيطت على نمائى وأول أرض مس جلدى ترابها
جمعت ما عثرت عليه من تاريخها ونسقت ما وقفت عليه من درر
آثارها قياماً بذلك الواجب الأقدس وأداء لبعض الحق المفترض شاكرًا مساعى
السادات الأجلء الذين آزرونى فى العمل ومدوا لى يد المساعدة بكل ما لديهم
من معونة .

تقسيم الكتاب

سيكون الكتاب بحول الله منقسماً إلى ثلاثة أقسام:

١ - فى تاريخ آسفى التأسيسى وأطواره قبل الإسلام وبعده وأسواره ومحارسه ومساجده ورباطاته ومستشفياته وآثاره الخيرية وبناءاته القديمة ويوتات أهله وأحوالهم العلمية والمدارس والمكاتب والحالة الأخلاقية والاقتصادية وغير ذلك .

٢ - تاريخه السياسى وما إليه من الحوادث .

٣ - تاريخ حياة رجاله من أهل العلم والصلاح والسياسة وغيرهم من ذوى الحيشيات النابغين فيه أو حوله والداخلين إليه من غير أهله يضم هذا القسم نحو سبعمائة ترجمة فأكثر .

تمهيد

قبل الشروع فى المقصود نتناول الكلام على الموقع الجغرافى للمغرب الأقصى ونسب سكانه ثم حدود بلاد المصامدة أهل الجنوب المغربى وأنسابهم ومواطنهم ومدنهم يكون هذا التمهيد مدخلاً لتاريخ آسفى وما إليه لأن قطر آسفى الموضوع برسمه الكتاب قسم كبير من الجنوب المغربى .

جاء موقع المغرب الأقصى الجغرافى فى الشمال الغربى من قارة أفريقية بين الدرج الثامن والعشرين والدرج السادس والثلاثين للعرض شمالاً من خط الاستواء وعمر الخط السادس والثلاثين فى بوغاز جبل طارق أما عمر الخط الثامن والعشرين فجنوباً من وادى درعة .

يحدث شرقاً قطر الجزائر وغرباً المحيط الأطلانطيقى وشمالاً البحر الأبيض المتوسط وجنوباً الصحراء الكبرى .

وعلى هذا الحد من هذه الجهة مشى البعض من المؤرخين والجغرافيين، والذى حققه أحمد الأمين وأقام عليه الأدلة فى كتابه الوسيط فى أدباء شنجيط أن الصحراء التى هى قطر شنجيط معدودة من المغرب .

وهذا هو الحقيقة فقد كان هذا القطر الصحراوى معدوداً من المغرب سياسياً وجغرافياً واقتصادياً وكانت دول المغرب فى إبان عظمتها تضم إليها الصحراء كالدولة اللمتونية والمدينية فى أيام أبى الحسن والسعدية فى أيام أحمد المنصور والعلوية فى أيام المولى إسماعيل كلهم كانت الصحرا فى حكمهم إما فعلاً أو اسماً .

obeikandi.com

نسب الأمة البربرية

اتفق علماء النسب على أن أمة البربر يجمعها أصلان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالأبتر فيقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب البرنس البرانس، ويجمع شعوب البرانس سبعة أصول وهى ازداجة والمصامدة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة، وشعوب البتر يجمعها أربعة أصول أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لو الأكبر.

هل هما لأب واحد وإلى من يرجع نسبهما؟

اختلف الناس هل هما لأب واحد وهو ما نقله ابن حزم عن أيوب بن يزيد أو لغيراب وهو قول أكابر نسبة البربر كسابق بن سليمان المطماطى وهانىء بن بكور الضريسى وكهلان بن أبى لو وغيرهم من نسبة البربر ونقلوه أيضاً عن أيوب بن أبى يزيد قائلين أن البرانس من ولد مازيغ بن كنعان بن حامك والبتر من ذرية بر بن قيس بن عيلان بن مضر من ذرية سام.

قال أبو عمر بن عبد البر أن طوائف من البربر ينتسبون إلى قيس وفى ذلك يقول شاعرهم:

قبائل من بر بن قيس وخندف وذى يمن فى عزها المتطاوول

قال ابن خلدون وغيره وقد أنشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلى:

ألا أياها الساعى لفرقة بيننا توقف هداك سبيل الأطايب

فاقسمُ أنا والبرابر إخوة نمانا وهم جد كبير المناصب

أبونا أبوهم قيس عيلان فى الورى
فنحن وهم ركن منيع وإخوة
فإن لبر ما بقى الناس ناصرا
تعد لمن عادى شواذه حمرا
وبر بن قيس عصبه مضرية
وقيس قوام الدين فى كل بلدة
وقيس لها المجد الذى يقتدى به

وينشد أيضاً ليزيد بن خالد يمدح البربر قوله :

أيها السائل عنا أصلنا
نحن ما نحن بنو بر القوى
وابتنى المجد فأورى زنده
إن قيساً يعتزى بر لها
ولنا الفخر بقر قيس أنه
إن قيساً قيس عيلان هم
حسبك البربر قومى إنهم
ونبيض نضرب لهام بها
أبلغوا البربر عنى مدحا

وقى حومة يشفى غليل المحارب
على رغم أعداء لئام المناقب
وبر لنا ركن منيع المناكب
وبيض تقص الهام يوم التضارب
وفى الفرع من أحسابها والذوائب
وخير معد عند حفظ المناقب
وقيس لها سيف حديد المضارب

سبب انخراط بر بن قيس فى سلك البربر

قال ابن أبى زرع فى القرطاس وابن خلدون فى التاريخ ناقلاً عن نسبة البربر وحكاه البكرى وغيره واللفظ للأول ذكر علماء التاريخ وأهل المعرفة بالأنساب وأيام الناس أن مضر بن نزار كان له ولدان إلیاس وعیلان أمهما لریاب بنت جندة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عیلان بن مضر ولدين قيس ودهمان، فأما دهمان فولده قليل، وأما قيس بن عیلان فولد أربعة رجال وجارية وهم سعد وعمرو وخصفة أمهم مزنة بنت أسد.

وبر وأخته تماضر أمهما یریغ بنت مجدول البربرى المجدولى وكانت قبائ البربر إذ ذاك یسكنون الشام ویجاورون العرب فى المساكن والأسواق والمراعى ویشاركونهم فى المياه والمسارح ویصاهر بعضهم بعضاً وكانت البهاء بنت دهمان بن عیلان من أجمل نساء رمانها وأكملهن ظرفاً وحسناً فكثرت خطابها من كل قبيلة من العرب فقال بنو عمها قيس وعم عمرو وسعد وبر وخصفة لا یتزوج ابنة عمنا إلا أحدنا ولا تخرج منا إلى غیرنا فخیروها فیمن شاءت منهم فاخترت برا وكان أصغرهم سنّاً وأكملهم شباباً فتزوجته دون أخوته فحسدوه علیها وهموا بقتله من أجلها وكانت أمه من دهاة النساء فخافت على ولدها من إخوته فبعثت إلى البهاء بنت دهمان الخبر وتوطأت معها على الخروج إلى بلد إخوتها من البربر مع ولدها حیث تأمن علیها، ثم بعثت إلى قومها فاتوها سرّاً فسارت معهم هى وولدها والبهاء بنت دهمان فلحقوا ببلاد البربر فنزل بر بن أخواله وأعرس بابنة عمه البهاء واعتز وامتنع من أرادہ بسوء فولدت له هنالك ولدين علوان ومادغیس ابنى بر بن قيس بن عیلان، فأما علوان فمات صغيراً ولم یعقب، وأما دغیس فكان یلقب بالأبتر وهو أبو الأبتر من البربر وإلیه یرفعون أنسابهم.

قال أبو عمر بن عبد البر وابن خلدون وابن أبي زرع، وفي ذلك تقول
أخته تماضر ترثيه:

لتبكي كل باكية أخاها كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحى ودون لقائه انضاء عيس
ولها:

وشطت ببر داره عن بلادنا وطوح بر نفسه حيث يما
وأزرت ببر لكنة أعجمية وما كان ب في الحجاز بأعجما
كانا وبر لم تقف بجيادنا بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

وقد انتقد ابن حزم وأبو عمر وابن خلدون كون قيس كان له ابن يسمى
برا، ونحن نقول إزاءه أنه لا يعنينا كثيراً هذا النقد بعد ما أثبت علماء التاريخ
والأنساب وجوده فهؤلاء علماء النسب من البربر وغيرهم مثل الطبرى
والبكرى صرحوا بوجوده، وهذا العلامة ابن أبي زرع فى قرطاسه نقلوه وجوده
عن علماء التاريخ والأنساب وأيام الناس، وهو من الثقة والمعرفة بالمكان الذى
أثنى عليه به ابن خلدون بل أن هذا القول بلغ من الشهرة الحد الذى تغنى به
شعراء الفريقين فى أشعارهم مدحاً ورتاءً فما علينا بعد هذا إلا أن نقول أن
المنكرين لوجوده لم يعلموه فصرحوا منكرين بعدم علمهم، وأن المثبتين علموه
فصرحوا بوجوده وزادوا القضية إيضاحاً ببيان سبب خروجه من بين أهله
وغاية ما يقال فى مثل هذا أن من علم حجة على من لم يعلم ومن أثبت
مقدم على من نفى.

فاستبان من هذا التحقيق والتمحيص أن البتر عرب مضر وأما البرانس فإن فيهم أغلبية ساحقة من عرب اليمن القحطانية ذلك أن قبيلتي صنهاجة وكتامة من العرب القحطانية عند جمهور المؤرخين والنسايين.

أما صنهاجة فقد بلغت من الكثرة الشيء الذى دعا الكثيرين أن يحدوها بثلاث البربر وأحصوا لها سبعين بطناً قلما يخلو قطر من أقطار المغرب من قبائلها وبطونها، وأما كتامة فقد كانت من الكثرة بحيث ملأت دواخل القطر الجزائرى من بونة إلى بجاية وشغلت دواخل الوطن الجزائرى إلى جبل أوراس وذكر لها ابن خلدون ثمانية عشر بطناً فأكثر وناهيك بعظمتها التى قامت على عاتقها الدولة الفاطمية التى دوخت العالم.

فإن قيل أن ابن حزم قد انتقد كون صنهاجة وكتامة من حمير كما انتقد دخول أفريقش اليمنى المغرب، نقول أن إنكاره نسبتهم الحميرية محجوج فيها بالرأى العام من المؤرخين والنسايين الذين صرحوا بنسبتهم إلى عرب اليمن مثل الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبي والسهيلي. وقال ابن خلدون أنه المشهور عند نسابة العرب وآخر من حجه بالرأى العام فى حق صنهاجة علامتا المغرب فى الأنساب والتاريخ وهما العلامة القادري فى النشر والعلامة النقيب العلمى فى البدور الضاوية.

قال الأول صنهاجة قبيلة من حمير عند جمهور المؤرخين وذكر ابن حزم إياها فى عداد قبائل البربر فيه نظر لما أطبق عليه من قبله ومن بعده من أنهم من حمير كأبى محمد الرشاطى فى اقتباس الأتوار وعبد الحق فى اختصاره وابن خلكان والهمداني وابن الكلبي وإمام اللغة أبى عبيد القاسم بن سلام والزبير بن بكار علامة قریش وصاحبى القرطاس والقاموس فكلامهم صريح فى مخالفة ابن حزم فلينظره من أراد.

وقال الثانى صنهاجة من عرب حمير يتصل نسبهم بهم من طريق عبد شمس بن وائى بن الغوث هذا هو النسب المعروف لصنهاجة الذى سلك الحفاظ فى القديم منهاجه وأطبق عليه النسابون فى جماهير الأنساب والمؤرخون فى تراجم الأعيان كأبى الحسن الهمدانى وأبى المنذر بن الكلبي وأبى محمد الرشاطى وعبد الحق الأشبيلي وابن سماك العامرى فى الحلل الموسية والمجد الفيروزآبادى وعبد الغنى الإمام وأبى القاسم بن جزى وأبى سعد السمعانى وأبى الحسن ابن الأثير فى جماعة من غيرهم خلقاً عن سلف.

وقول أبى محمد ابن حزم فى جمهرته بخلاف هذا فى نسب صنهاجة كأنه حرق للإجماع هـ.

وعبارة أبى محمد الرشاطى: فشرّف صنهاجة أصيل ومجدهم أثيل ورياستهم قديمة ونسبتهم إلى حمير معلومة هـ.

وأما نقده دخول أفريقش اليمنى إلى المغرب مصرحاً بأنه من أكاذيب مؤرخى اليمن فإنه على الرغم من كون ابن خلدون أوضح هذه النظرية بكونه لا يتيسر له المرور إلا من طريق مصر كان بها دول لا تسمح له بالمرور ببلدها فإننا نجيب عن هذه النظرية بأنها مسلمة فى نفسها فقط ولا تنطبق على هذه المسألة إلا لو تتبعنا أدوار تاريخ الدول المتعاقبة على مصر واستوضحنا حالتهم من قوة وضعف وكشفنا عما كان بينهم وبين تبابعة اليمن من حرب أ حلف وحيث إن التاريخ لقدمه وإبهامه لم يسمح لنا لحد الآن عن تلك الأدوار الغابرة بتصوير الحالة التى تجعلها أصلاً لهدم ما بناه المؤرخون ونقله الثقّات فمن أجل ذلك كله يمكننا أن نقول أن طريق اتصال المغرب لا يمنعه عقل ولا

عادة، إذ يمكن اتصاله بالمغرب فى بعض الفترات أو المحالفات الدولية أو غير ذلك مما لم ينقله التاريخ وكم لذلك من نظير فى تاريخ الدول والشعوب .

ثم إن ابن خلدون على الرغم من كونه تبع ابن حزم وبسط نظرية عدم دخوله المغرب فى المقدمة فلإنه صرح فى التاريخ بدخوله إياه وأنه ترك به صنهاجة وكتامة قال (ص ٩٧ ج ٦) المشهور أن صنهاجة وكتامة من اليمن وأن أفريقش لما غزا المغرب أنزلهم بها ثم قال وعندى أنهم منهم هـ . وقال (ص ١٠٦) اتفق المؤرخون على غزو أفريقش بن صيفى من التبابعة المغرب كما يكرناه فى أخبار الروم وقال (ص ١٤٨) لدى كلامه على كتامة أن نسبة العرب يقولون أنهم حمير هـ .

ومن ذكر غزوه المغرب المسعودى والجرجانى وابن قتيبة والطبرى والسهلى وأبو حنيفة الدينورى وابن الكلبي وغيرهم من أعلام التاريخ والأنساب .

تأييد غزوه المغرب بالآثار

يدل لدخول أفريقش المغرب ما ذكره أبو عبيد لبرى فى كتاب المسالك وذكره أيضاً صاحب الاستبصار عن الثقات عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى قال كنت أنا وغلّام مع عمى بقرطاجنة نمشى فى آثارها ونعتبر بعجائبها فإذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية .

وذكر الشيخ مبارك الميلى فى بعض تعاليقه على تاريخ الجزائر (ص ٧٦ ج) أن مما يثبت غز أفريقش لليبية (المغرب) ما ذكره أبو يعلى فى تاريخ

الزواوة (ص ٨٢) أنه رأى في المجلة الآسيوية أن علماء الأثر اكتشفوا الخط الحميري منقوشاً على حجر في بعض قرى إفريقية هـ.

وقد قيل أن البربر من ولد حام وقيل من ولد إبراهيم وقيل غير ذلك، وقد انتقد ابن خلدون الجميع وبين مرجوحيتها وانحط على القول بأنهم حاميون فرجه وقد علمت ما في نقده القول بعريتهم.

الخلاصة

خلاصة ما بسطناه أن الأمة المغربية جلها عرب ما بين عدنانية وقحطانية لأن البتر الذين هم أحد قسمي البربر من عرب مضر وصنهاجة وكتامة في عداد البرانس وهما من الكثرة بالمكانة السابقة من عرب قحطان.

هذا قبل الإسلام أما بعد الإسلام فقد أمتته موجات عديدة من العرب، وقد قدرت موجة الهلاليين وحلفائهم بما يربو على مليون نسمة، فكيف يغيرها فغمرت قبائل العرب السامية بكثرتها قبائل البربر الحامية، بحيث صارت الثانية أقلية ضئيلة وامتزجت الجنسيتان امتزاجاً غريباً من قديم الزمان، وعاشت متحدثتي العوائد والأخلاق والأزياء وتأثر كل فريق بالآخر وصارت أمة واحدة لها وحدتها ومميزاتها وسياستها من بين الأمم والشعوب.

ما لهذا الجيل قديماً وحديثاً من الفضائل الإنسانية

والخصائص الشريفة الراقية بهم إلى مراقى العز والسلطان

يقول العلامة الناقد ابن خلدون تحت هذا العنوان: قد ذكرنا ما كان من أمر هذا الجيل من البربر ووفور عدده وكثرة قبائلهم وأجيالهم وما سواه من مغالبة الملوك ومزاحمة الدول عدة آلاف من السنين مما تشهد أخباره كلها بأنه جيل عزيز على الأيام وأنهم قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم كثير جمعهم مظاهرون لأمم العالم وأجياله من العرب والفرس واليونان والروم.

ثم يقول وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم فى الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومراعاة المدح والثناء من الخلق وعز الجوار وحماية النزىل ورعى الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات فى الشدائد وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتجافى عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوفير أهل العلم وحمل الكل وكسب المدعوم وقرى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة وإبابة الضيم ومشافة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملوك وبيع النفوس من الله فى نصر دينه فلهم فى ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبعيه من الأمم وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن قادتهم إلى مراقى العز وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الأيدى أيديهم ومضت فى الخلق بالقبض والبسط أحكامهم وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الأولى فليكن بن زيرى لصنهاجى ومحمد بن خزر والخير ابنه وعروبة بن يوسف الكتامى ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة وعبد المؤمن بن على شيخ الموحدين، وكان

عظماؤهم من أهل الطبقة الثانية لسابقون إلى الراية بين دولهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين ويغمراسن بن زيان سلطان بنى عبد الواد وغيرهم، فكانوا من أرسخهم فى تلك الخلال قدمًا وأطولهم فيها يدًا وأكثرهم لها جمعًا طارت عنهم فى ذلك قبل الملك وبعده أخبار عنى بنقلها الإثبات من البربر وغيرهم وبلغت من الصحة والشهرة مبلغ التواتر. وأما إقامتهم لمراسم لشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء فى فروض أعيانهم واقتفاء الأئمة للصلوات فى بواديهم وتدارس القرآن بين أحيائهم وتحكيم حملة الفقه فى نوازلهم وقضاياهم وصاغيتهم إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة فى آثارهم وبيعهم النفوس من الله فى سبيله ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم التى كانت ملاكًا لعزهم ومقادًا إلى سلطانهم وملكهم وكان المبرز منهم فى هذا المتحل يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن على وبنوهم ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم وبنوه، فقد كان لهم فى الاهتمام بالعلم وتشديد المدارس واختطاط الزوايا والربط وسد الثغور وبذل النفس فى ذات الله وإنفاق الأموال فى سبيل الخيرات ثم مخالطة أهل العلم وترفع مكانهم فى مجالستهم ومفاوضتهم فى الاقتداء بالشريعة والانقياد لإشاراتهم فى الوقائع والأحكام ومطلعة سير الأنبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم من دواوين ملكهم ومجالس أحكامهم وقصور عزهم والتعرض بالمعاقل لسماع شكوى المتظلمين وإنصاف الرعايا من العمال والضرب على يد أهل الجور واتخاذ المساجد بصحن دورهم يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقراء المرتبين لتلاوة كتاب الله أحزابًا بالعيش والإشراق على الأيام وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان المشيد والكتائب المجهزة وإفاق الأموال العريضة شهدت لهم بذلك آثار تخلفوها بعدهم.

وأما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النوع الإنساني من شخصهم فقد كان فيهم من الأولياء المحديثين أهل النفوس القدسية والعلوم الموهوبة ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة، والكهان المفطورين على المطلع للأسرار المغيبة ومن الغرائب التي خرقت العادة وأوضحت أدلة القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجليل وكرامته لهم بما آتاهم من جماع الخير وآثرهم به من مذاهب الكمال وجمع لهم من متفرق خواص الإنسان. ثم ذكر من هذا النوع أفراداً وقال إنها ل انصرفت إليها عناية الناقلين للملأت الدواوين ولم يزل هذا دأبهم وحالهم إلى أن مهدوا من الدول وأثلوا من الملك ما نحن بسبيل ذكره هـ.

وهذه الشهادة من هذا الإمام الناقد المعلوم بعدم المحاباة في نقده حتى على بنى ملته وجنسه، ندفع بها في صدور المغرضين الذين يتنقضون هذه الأمة: كياقوت الحموى وغيره والله سبحانه الموفق.

المصامدة بالجنوب المغربي (أهل الحوز)

المصامدة من البرانس نسبة إلى مصمود بن يونس وهم من أكثر قبائل البربر وأوفرهم عددًا كان لهم التقدم والدولة قبل الإسلام وبعده ولم نزل مواطنهم بجنوب المغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة.

تحد بلاد المصامدة كما للمراكشي في المعجب: عرضاً من النهر الأعظم أم الربيع وآخر بلادهم الصحراء، وطولاً من جبل درن (الأطلس) إلى البحر المحيط.

ثم إن المصامدة ينقسمون إلى مصامدة السهل وهم ما دون الجبل
الأطلس إلى المحيط حيث آسفى على شاطئه وسط قبائل دكالة، ومصامدة
الجبل وهم سكان الجبل الأطلس.

مواطن مصامدة السهل

دكالة: قال المجد فى القاموس: دكالة كرمانة وقال الصغاني وياقوت
الحموي وعبد الحى بن العماد فى الشذرات بفتح الدال لكنه أى الفتح مهجور
فى الاستعمال فلا يوجد من يستعمله.

قال ابن خلدون أن دكالة فى ساحة الجبل (الأطلس) من جانب الجوف
مما يلى مراكش إلى البحر من جانب الغرب وهناك رباط آسفى المعروف ببني
ماكر من بطونهم هـ.

تحد دكالة شمالاً بوادى أم الربيع وجنوباً بوادى تانسيفت وشرقاً مراكش
وغرباً المحيط الذى عليه مرسى آسفى.

قال العلامة القسنطينى فى كتاب أنس الفقير يصف بلاد دكالة لما كان
قاضيًا بها سنة ٧٦٩ - هى أرض مستوية طولها مسيرة أربعة أيام وكذلك
عرضها ووجدت بها خمسة وعشرين مدرساً وبلغت أزواج حراثتها زمان
ورودى عليها عشرة آلاف زوج (هذا لنوع من الأزواج أو لناحية فقط بدليل ما
بعده) وبعض حيوان فيها من إنسان وغيره زائد على مثله فى قدره وليس فيها
نهر ولا عين (أى بداخلها وإلا فهى تحد بالواديين السابقين) إلا آبار طيبة
دخلها القاضى أبو بكر بن العربى رضى الله عنه بعد رجوعه من العراق
وعجب من قلة مائها وكثرة خيرها، وقال رأيتها أنبتت ثانى يوم المطر هـ.

وقال أبو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى ناقلاً عنه أيضاً: أرض
دكالة طولها وعرضها خمس مراحل وليس بها أنهار ولا عيون إلا الآبار
العذبة وليس بها شعاب ولا خنادق إلا البسائط المستوية والزرور والضروع
وبها زيادة على عشرة آلاف قرية عامرة غير مدن السواحل ومدينتها العظمى
في وسطها وبها خمسة وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنعهاجة
دخلها القاضي أبو بكر بن العربي وتعجب من قلة مائها وكثرة ثمارها
وخيراتها ورخص أسعارها وطيب زروعها وقد بلغ عدد سككها أزيد من مائة
ألف سكة هـ.

مشاهير بيوتاتها

بيت بنى أمغار

هذا البيت عظيم القدر غزير الفضل وافر الجلالة كثير العلماء نبغ منه
عدد من الأئمة والشيوخ المرشدين وكان واسطة عقدهم الشيخ الإمام أبو عبد
الله سيدى محمد بن أبى جعفر بن إسماعيل الحسنى الإدريسي المدعو أمغار
الكبير من أهل القرن السادس الهجرى، وكان له أولاد سبعة تسنموا مراتب
العلم والعمل واتصفوا بالولاية والعرفان وقد تناسل من ذرياتهم مالا يحصى
من العلماء المرشدين ظلوا حاملين راية العلم والهداية وكانت زاوية تيط
مركزهم الوحيد للعلم والدين قصدت من الآفاق وشدت إليها الرحلة الرفاق
وغمرت قاصديها بالعلوم والمعارف الربانية الشيء الذى خلد لهذا البيت جميل
الذكر وحسن الأحداث وحسبك دليلاً على ذلك مقالة الإمام القسنطينى تلك
المقالة الوجيزة التى تنم عن خير كثير وفضل غزير درج فى هذا البيت ألا

وهى قوله: أكبر بيت فى المغرب فى الصلاح بين بنى أمغار لأنهم يتوارثونهم
كما يتوارث الناس المال.

قال الصومعى وما زالوا كذلك إلى الآن يتوارثونه والغالب أنهم أعلام
إما فى الصلاح والعلم أو فى الصلاح ولا تجد من له نسبة حقيقية بهم إلا
وتجد فيه خلة من الصلاة هـ.

لا أريد الإطالة بتعداد رجال هذا البيت النبوى وذكر مزاياهم وخدماتهم
الجليلة للإسلام، فقد أفردهم الأئمة المتقدمون بالتأليف العديدة منهم التادلى
صاحب التشوق والتجيبى ومحمد بن عياض وغيرهم كما فى دوحة الناش
لابن عسكر وإنى أنا الأخير لما لم نظفر بتلك التأليف التقطت درر جواهرهم
فى مؤلف سميته تنوير بصائر الأبرار بتاريخ زاوية تيط وآل أبى عبد الله
أمغار.

وقد امتدت فروع هذا البيت حوالى القرن التاسع إلى هتيفة
وتامصلوحت وغيرها من آفاق المغرب وحواضره.

بيت البوعنانيين الحسنيين

هذا البيت عظيم القدر شهير الذكر وافر الحرمة كان أول نازل منهم
بدكالة حوالى القرن الخامس الهجرى الشريف الهمام سيدى أحمد بن ثابت
ومنه تناسلت الذرية ويعرفون الآن بدكالة بالرونيين.

وقد امتدت فروع هذا البيت الطيب إلى فاس ومراكش وآسفى وغيرها
وتسّموا مراتب المجد العالية وتولوا الولايات كالقضاء والتدريس بحاضرة
فاس وغيرها.

بيت المشتريين

بيت قديم المجد تعدد فيها الرجال والعظماء والشيوخ المرشدون كالشيخ
أبى بيور عبد بن وكريس المشتري صاحب الضريح لشهير وسط صفح دكالة
والشيخ الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن هلال المشتري دفين شاطئ البحر
والشيخ أبو وازغار دفين أولاد عمران من دكالة وكلهم من أهل القرن السادس
الهجرى - والشيخ أبى الحسن على بن قاسم بأبى سجدة من أهل العاشر -
وحفيده لزعيم أبى الفداء إسماعيل بن سعيد القاسمى صاحب الزاوية على
مقربة من الجديدة كان ممن انضوى تحت لواء الزعيم أبى عبد الله سيدى محمد
العياشى فى حرب برتغال ثغر الجديدة ولما ارتحل أبو عبد الله العياشى عن هذه
البلاد تركه قائماً بأعباء تلك المهمة وكانت وفاته أواخر المائة الحادية عشر
للهجرة .

والأستاذ المقرئ مولاي الطاهر القاسمى ذو المدرسة الشهيرة فى القراءات
التي قامت بواجب عظيم فى بابها وكانت وفاته صدر هذا القرن الهجرى .

وقد امتدت فروع هذا البيت حوالى القرن التاسع الهجرى إلى فاس
حيث ارتحل الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المشتري عن دكالة قاصداً
بيت الله الحرام فمر بحاضرة فاس فاتصل به السلطان أبو سعيد عثمان بن أبى
العباس المرينى فبالغ فى إكرامه وندبه للجلوس بفاس لنشر العلم فأجابه إلى
ذلك .

وقد ترك بفاس ذرية طيبة عرفوا بأولاد ابن إبراهيم المشتريين تسلسل
فيهم العلم والفضل من ذلك الحين إلى قريب من عصرنا تحتل بفضائلهم
الطروس وتزينت بمزاياهم المجالس والدروس حتى شبههم الشيخ زروق ببيت
المرازقة بتلمسان وأثنى عليهم غير واحد من الأئمة ثناء عاطراً .

وبرسمهم وضع العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم المشتراي الفاسي من نسبهم كتابه سلسلة الذهب المنقود في ذكر أعلام من الأسلاف والجدود ولم يكمله فأتمه أخوه.

وتوجد فرقة أخرى بفاس وافقتهم في الاسم والنسب عرفوا بأولاد ابن إبراهيم المشترايين فيهم علماء وعدول ولكن ليس لهم من المزايا ما للأولين.

بيت صنهاجة

بيت صنهاجة بدكالة نبيه المكانة جليل القدر نبغ منه عدة رجال في العلم والسياسة كالشيخ الإمام المرشد أبي الحسن ابن يونس المحبوبي الصنهاجي من أهل القرن الثامن - ورجل الكرم والسياسة والوجاهة ولرياسة ابن بطان الصنهاجي والى صنهاجة آذمور وما إليها في دولة أبي الحسن الميرني وفي دول بنيه لقيه ابن الخطيب السلماني سنة ٧٦١ - وفيه يقول:

لله درك يا ابن بطان فما	لشهير جودك في البسيطة جاحد
إن كان في الدنيا كريم واحد	يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريت فضلم جعفرأ يحيى به	ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا في مفرد	ولد كما شاء العلاء ووالد
وهي الليالي لا تزال صروفها	يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما	قد كان أفسده الزمان الفاسد

ولهذا البيت فرع طيب وافر الجلالة بفاس وهم بنو المليلى انتقل جدهم الشيخ الفقيه الصالح أبو زيد السيد عبد الرحمن الصنهاجي عن صنهاجة

آزمور مغاضباً لسلطان عصره من آخر الموحدين فنزل مليلية من بلاد لريف ثم نقله إلى فاس سلطانها أبو يحيى بن عبد الحق المريني فتناسل منه فقهاء أجلة ووجهاء.

بيت بنى دغوغ

بيتهم عظيم القدر نبيه المنزلة تعدد فيه الرجال العظام والشيوخ المرشدين، ولهم رباطات كانت مراكز للعلم والقرآن والدين - وموضوع تجل واحترام من ملوك الإسلام والمسلمين كالشيخ الإمام أبي حفص عمر الدغوغى والشيخ الواعظ الخطيب ابن محمد مليجي بن موسى الدغوغى والشيخ ابن مهدي الدغوغى والشيخ أبى الأنوار والشيخ الفقيه الإمام أبى محمد عبد الخالق ابن ياسين كلهم من أهل القرن السادس ويوجد غيرهم من الرجال الذين تفر بهم عين الإسلام.

بيت رجراجة

هذا البيت غنى عن التعريف بكثرة رجاله العظماء من المتقدمين والمتأخرين وسيأتى ذكرهم فيما بعد بقريب لكن لا بأس بالإشارة إلى الفروع التى توجد بدكالة كالفرع الذكى المعروف بأولاد ابن الشاوى حفدة سيدي إبراهيم الشاوى لقبا القرمودى الرجراجى نسباً نبغ فيهم عدة رجال كانوا مثال الفضل والعلم والدين كالإمام المقرئ النحوى محشى المكودى أبى عبد الله سيد بن محمد بن المؤذن المتوفى سنة ١٢٨٩ - والفقيه العلامة النحوى الملقب

سيبويه أبو العباسي أحمد بن الجليلي المتوفى سنة ١٣١٥هـ والفقيه العلامة السيد عبد الله بن الجليلي المتوفى سنة ١٣١٠هـ والفقيه الإمام السيد عبد الله ابن علي المتوفى سنة ١٣٤٤هـ - والفقيه الإمام السيد الحساني المتوفى سنة ١٢٩٩. وغيرهم الأعلام. هذه الحلبة المباركة لعبت دوراً عظيماً في نشر العلم وبثه في هذا الصقع وكانت لهم مدرسة من قديم لكنهم لما نشأوا بها رقوها لأعلى مراتبها وأدخلوا عليها علوماً حوالى المنتصف القرن الماضى الهجرى وجلسوا بأنفسهم لإفادة الطالبين للعلوم فكانت تلك المدرسة مورداً معيناً لأهل العلم تخرج بها ما لا يحصى منهم ولا تزال إلى الآن فيها البركة صانها الله ووجد فروع أخرى حوالى آسفى كالزاوية الغنورية والجدعانية وغيرها.

بيت بنى ماكر

هذا البيت جليل القدر عظيم المنزلة غنى بكثرة رجاله وعظمائه وناهيك بيت أنجب مثل الشيخ أبى محمد صالح الماكرى صاحب رباط آسفى الشهير المتوفى سنة ٦٣١. وأولاده الشيوخ الأجلاء والفقيه الإمام الخطيب الورع أبو القاسم بن إبراهيم الماكرى ثم الأزمورى من أهل السابعة والأستاذ المعربى المفسر أبو القاسم بن محمد الماكرى الأزمورى ثم الفاسى نزيلها المتوفى بها سنة ٩١١. والفقيه القاضى أبى عبد الله محمد بن الطيب الماكرى العبدى قاضى آسفى وعبد صدر القرن الماضى والأستاذ الفقيه الصالح النفاع الحاج محمد بن رحال الماكرى النجاوى العامرى ذو المدرسة الشهيرة والنفع العميم المتوفى سنة ١٣٣٤ ولديه الفقيهين الفاضلين أبى عبد الله السيد محمد الكبير وأبى عبد الله السيد محمد الصغير حفظهما الله.

وقد نأى عن هذا القبيل الدكالى جماعة وافرة من الأعلام الذين خلدوا
 للبيت الدكالى جميل الذكر وحسن الأحدثة كالإمام أبى مهدى عيسى
 الدكالى بفاس وبسبته قديماً الإمام الأصولى النظار أبى زكريا يحيى الدكالى
 بفاس وبسبته قديماً الإمام الأصولى النظار أبى زكريا يحيى الدكالى . وبتونس
 الإمام علم الأعلام أبى عبد الله محمد بن شعيب الدكالى مجدد سند العلوم
 الإسلامية بها حوالى القرن السابع كما لابن خلدون فى المقدمة والعلامة
 الإمام سحنون الدكالى نزيل الإسكندرية والإمام المفسر النحوى الشهير أبو
 أمانة النقاش محمد بن على بن عبد الواحد الدكالى المصرى المتوفى سنة
 ٧٦٣ . وغيرهم ممن نزلوا الشام والحرمين الشريفين الشىء الذى يدل على
 حسن منبت هذا القبيل الدكالى وطيب عنصره وكرم محتده وناهيك بكون
 الإمام البوصيرى انتسب لدكالة نسبة حب حيث قال فى قصيدته التى امتدح
 بها الشيخ أبا محمد صالحاً وأولاده:

وما أنا من دكالة غير أننى نسبت إليهم نسبة الصدق فى الحب
 كنسبة سلمان لبيت نبيه وما كان فى قبيل منهم ولا شعب
 جزا الله خيراً ملة أخرجتهم من الناس إخراج الحبوب من اللب

ثم إن دكالة لما دخلها العرب من موجة الهلاليين وأحلافهم حوالى
 السادس والسابع من الهجرة . انقسمت إلى قسمين دكالة الحمراء وهى عبدة
 الجنوبية التى تحيط باسفى وتبلغ وادى تانسيفت جنوباً . ودكالة البيضاء وهى
 الشمالية التى تحفظ اسم (دكالة) تمتد رقعتها من وادى أم الربيع إلى مغربة من
 آسفى وهؤلاء العرب قد لبسوا جلدة القبيلة القديمة وحلوا محلها وانتسبوا
 نسبتها حيث إنها كانت أواسط القرن الخامس الهجرى قد تعصبت للدولة

اللمتونية وقوضت أركانه على حين شبابه لذلك اجتهد السلطان عبد المؤمن للموحدى وأنباؤه فى تجهيز الجيوش لها فقاتلوه وهزموه ثم كانت له ولأولاده من بعده عليهم الكرة فاجتهدوا فى إبادتها تارة بالسيف وتارة بتفريقها فى آفاق المغرب .

رجراجة

مواطنهم على عدوة وادى تانسيفت الجنوبية . وهذه القبيلة كانت لها فضيلة السبقية لتلقى الإسلام بالمغرب نبغ فيها رجال سبعة لهم ذكر فى اعتناق الإسلام والذب عن حوزته . ورئيسهم السيد واسمين دفين جبل الحديد . والسيد أبو بكر أشماس بزواية قرمود بسفح الجبل من جهة البحر . وولده السيد صالح بن أبو بكر ببلاد حويرة على مقربة من والده . والسيد عبد الله أدناس ، عليه قبة وادى تانسيفت من الجنوب . والسيد عيسى بوخايبة على وادى تانسيفت أيضاً والسيد سعيد بن يلقى المدعو السابق - بموضع تمزت . والسيد يعلى دفين رباط شاكر . كانوا متظاهرين للإسلام ناشرين شرائعه مدافعين عن حوزته وبالأخص عد ظهور برغواطة المتنبئين بتامسنا كانت بينهم حروب استمات فيها رجراجة على الإسلام وباعوا أنفسهم من الله بل قال جماعة من العلماء أنهم صحابة شدوا الرحلة إلى النبى ﷺ بمكة فى أول ظهوره وكلموه باللغة البربرية فأجابهم بها وأسلموا ورجعوا للمغرب وهم أول من أدخل الإسلام للمغرب ، ذكر ذلك التلمسانى فى كتاب المنهل الأصفى فى شرح كتاب الشفا فى فصل بلاغته ﷺ عن ابن سيدى الحسن عن أبى ذكرياء أنه كان يحدث به عن شيخه منصور بن على البجائى عن أبيه وغيره من

شيوخه ونقله عنه الشهاب الخفاجى فى نسيم الرياض مستغرباً له . وتصدى
لنصرة ذلك الإمام أبو عبد الله السيد محمد بن سعيد المرغيثى مستدلاً على
ذلك بالشهرة والاستفاضة التى نقلها الخلف عن السلف من أهل بلادهم
وغيره، قائلاً أن صحبتهم قد اشتهرت بين الخاص والعام شهرة بأبى عبد الله
أن تكون باطلة .

ونقلها عن جماعة من شيوخه وغيرهم كالإمام الحافظ سيدى عبد الله
ابن على ابن طاهر العلوى والإمام المحدث المفتى سيدى عبد الواحد بن أحمد
العلوى وأستاذ المغرب سيدى محمد الترغى والإمام سيدى محمد الكفيف
وشيخ الشيوخ سيدى عبد الله بن أحمد الرجراجى وقال إن له فى صحبتهم
كلاماً مفيداً . وعن الشيخ أبى بكر بن يوسف وعن جماعة السكتانى وافرة من
أهل درعة وتلمسان وفاسى وغيرها وقال إن بعض العلماء نقل صحبتهم
وحررها مما طالعتهم من كتب غير واحد إلا أنه طال عهدى به وعزب عن
حفظى لاشتغالى بغير ذلك من المعارف .

وقال العلامة الأديب المؤرخ أبو الربيع سليمان الحوات، فى الروضة
المقصودة، وقد تصدى لتصحيح عددهم ووفودهم على النبى ﷺ بلغتهم
وجوبه لهم بمثلها وعينوا مدافنهم وأسماءهم وأنهم هم المعروفون الآن برجال
رجاجة ونسبة الصحبة إليهم شائعة ذائعة على السنة الناس خصوصاً عند أهل
بلاد رجاجة وعموماً عند غيرهم اهـ .

وقال الفقيه السيد الكبير بن عبد الكريم المراكشى الشاوى المعروف بابن
حريدة أن صحبتهم اشتهرت عند الناس وتواطأوا على الإخبار بها لشيوعها

واستفاضتها على ألسنة أهل العدالة وغيرهم من قديم الزمان وذكره الخلف
عن السلف اهـ.

وقد أبى ذلك عن جماعة وقالوا أنه لم يدخل المغرب صحابى وأول من
أدخل الإسلام للمغرب عقبة بن نافع الفهري . وقد جمع بين القولين بعض
الأئمة بأن رجاجة أول من أدخل الإسلام للمغرب ولكنهم لم يحملوا الناس
عليه بالقوة وأعقبة بن نافع هو أول من أظهر الدين وحمل الناس عليه
بالقوة . والذي يظهر لى بعد التروى فى المسألة أن إثبات الصحة يحتاج لأدلة
أمتن وأصح من الأدلة التى أقامها المرغيثى وغيره لأن الشهرة المذكورة ليست
بقديمة العهد حسبما يظهر من كون العلماء القائلين بصحتهم إنما هم من أهل
القرن الثامن فما بعده، كما أن هذا القول بالصحة لا يهمل ولا يطرح بل
يحفظ ويذكر مع بيان رتبته عسى أن يوجد ما يعضده فإن الذين ألفوا فى
الصحابة لم يستوعبوههم بل لم يذكروا عشر معشارهم فقد ذكر الحافظ أبو
زرعة الرازى أن النبى ﷺ توفى ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف
إنسان من رجل وامرأة قال ذلك فى جواب من سأله عن الرواة فكيف بمن لم
يرو عنه وسبب خفاء الكثير منهم أنهم جلهم من أهل البوادي أسلموا وذهبوا
لبلادهم ولم يهتد الباحثون للتنقيب عنهم فى ذلك الحين . وأول من صنف
فى أسمائهم الإمام سيدى محمد بن إسماعيل البخارى صدر القرن الثالث
بعدهما ذهبت طبقة الصحابة والتابعين وتنوسيت كثير من أخبارهم فجعل
يلتفظهم من الأحاديث المحفوظ عنهم ثم تلاه الأئمة فى ذلك وجلهم من أهل
المشرق فلم يدخل أحد منهم المغرب الأقصى، وكان أبو عمر بن عبد البر من
الذين ألفوا فيهم ولكنه بالأندلس ولم يقطع بر العدو ويباحث أهلها وآخر

من ألف فيهم وجمع ما تفرق في تصانيف من قبله. وزاد الحافظ المطلع الشهاب بن حجر ومع ذلك أقر بالعجز عن بلوغه عشر معشارهم كما في طالعة كتابه الإصابة. هذا مع كون المغاربة أكثر الناس إهمالاً للتاريخ حتى توجع لذلك غير واحد من الأئمة وكيف لا يتوجع لذلك وقد ضاعت بسببه رجال وانطمست محاسنهم واندثرت آثارهم، وكيف لا ينفطر القلب وتذوب النفس حسرات على ذلك التراث الذى ضيعه أهله والكنز الثمين الذى أهمله ذووه. وأنكر من ذلك وأمر هو كفران الخلف بالبقية الباقية من ذلك الأثر الضئيل المتخلف عن السلف فيعمدون إلى نفيه جزأً من غير إمعان نظر ولا إجابة فكر ولا سعة اطلاع إما بالاستبعاد وإما بعدم ذكر فلان وفلان ولو أقر ذلك الذاكر بالعجز عن الاستيعاب فإنهم يابون إلا أن يجعلوا عدم ذكره حجة على العدم.

ولعل النافى أو المستبعد لم يطلع على نسبه فضلاً عن أن يطلع على خبر بلده أو قطره ولعله لم يفارق بلده ومن اهتدى للبحث والتنقيب عن عيون أخبار السلف ورحل ويحث. أقل من القليل وليته يسلم من جهلة الذين يرون التاريخ شيئاً فرياً ويرمونه وراءهم ظهرياً. نعم المتحقق من أحد هؤلاء الرجال السبعة أنهم كانوا مظهرين للإسلام ومدافعين عنه، فقد ذكر عنهم صاحب التشوق أن يعلى أحد الرجال السبعة كان يجاهد كفار برغواطة وغزاهم مرات، وإن طبله باق برباط شاكر اهـ. يعنى فى عصره صدر القرن السابع الهجرى. وكان ظهور برغواطة سنة ١٢٤. فى دولة هشام بن عبد الملك، وقيل قبل ذلك محاكاة للنبي ﷺ، وكان انقراضهم بمرة صدر المائة الخامسة للهجرة. ومسألة الصحبة توجد مفصلة فى كتابنا الياقوتة الوهاجة فى

مفاخر رجراجة فقد استوعبناها بما لها وما عليها وذكرنا فيه من تراجم البيت
الرجراجي مائة وخمسين ترجمة فأكثر. فالبيت الرجراجي من أغنى البيوتات
رجالاً كالإمام العلامة الأصولي أبي الحسن علي بن سعيد الرجراجي صاحب
كتاب مناهج التحصيل فيما على المدونة من التأويل من أهل السادس
الهجري. والإمام الأستاذ المقرئ النظار أبي علي حسين بن طلحة الرجراجي
الواصل صاحب كشف النقاب عن تنقيح الشهاب في الأوصل وري العطشان
على مورد الظمان في رسم القرآن من أهل التاسع. والإمام المتفنن أبي مهدي
عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي السكتاني قاضي الجماعة بسوس ثم مراکش
وصاحب الحواشي على صغرى السنوسي المتوفى سنة ١٠٦٢. والإمام المتفنن
أبي الحسن علي بن أحمد الرجراجي التمنوتي صاحب شرح ألفية ابن مالك
والجمل وشرحي الكبرى والصغرى وغير ذلك من الأوضاع المتوفى سنة
١٠٤٩، والفقيه العلامة أبي العباس أحمد ابن علي الرجراجي ثم الهشتوكي
صاحب كتاب الإيضاح في شرح الرسالة والفتاوى وغيرها المتوفى سنة ٩٦٥،
والإمام المشارك أبي عبد الله محمد ابن عبد الله الرجراجي قاضي تادلا عهد
إليه أحمد المنصور السعدي في اختصار الكشاف والكلام معه في مواضع
سقطه. رحمه الله. والفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الخراس الرجراجي
شارح لامية الزقاق من أهل الثاني عشر للهجرة والأستاذ الإمام المقرئ المتفنن
أبي محمد عبد الله ابن علي الرجراجي السكياطي كان رحالة إماماً رحل
لمراكش وفاس ومصر والحرمين الشريفين ومكث بمصر سنة واستغرقت مدة
رحلته عشر سنين ورجع بعلم غزير بثه في صدور الرجال، وتوفى سنة
١٢٤٤ - وتلميذه الإمام أبي حفص عمر بن أبو جمعة الرجراجي السكياطي
صاحب المدرسة الشهيرة وقاضي الصويرة والشياطمة العادل في سيرته المتوفى

سنة ١٢٦٦ . والإمام القاضى محبى رسوم العدل أبو الحسن على بن عبد
الصادق الرجراجى قاضى الصويرة وما إليها ومدرستها وأمامها الكثير الخشية
من الله الموفى سنة ١٣٠٨ وغيرهم من الأعلام .

وهذه القبيلة قد انتفتت فى القاصية وتلاشت فى القبائل فبعضها بسوس
وبالسراغنة ولم يبق بموطنهم المذكور إلا أولاد الرجال السبعة وذرياتهم ومن
هو من ذويهم فى رباطاتهم موضوع تجلّة واحترام من الملوك والمسلمين رعيًا
لسلفهم ومالهم من خدمات وسوابق فى الإسلام كانت هذه الرباطات معقل
العلم والدين وموردًا معينًا لأهل العلم فكم تخرج من رباطاتهم من الأئمة
العظام الذين طابت بأعمالهم الأيام ولا تزال فيها البركة وإن كان لحقها من
الفتور ما لحق الأمة الإسلامية والله سبحانه الموفق .

حاحة

موطنها يتصل برجراجة فى بسط ينعطف ما بين ساحل البحر والجبل
الأطلس يفضى ذلك البسيط إلى السوس الأقصى وفى التاريخ العام المغربى
يطلق اسم حاحة على كامل بلاد رجراجة مما وراء تانسيفت من الجنوب .

جزولة وهشتوكة

مواطنهم بسوس الأقصى إلى وادى نون (وادى نول) قد خالطهم عرب
المعقل وكاثروهم .

وحول مراكش قبائل هزميرة وهيلانة وهزرجة ومتوكة وسكتانة ومسفيوة

وغيرها مما يقطن البسائط وسفح الجبل الأطلس . وزاد ابن خلدون في المصامدة برغواطة أهل تامسنا . وبنو حسان وغمارة شمال سلا إلى إذغار وأصيلا وبلاد الهبط وقد زاحمتهم عرب رباح وغيرها في هذه البسائط .

مصامدة جبل درة (الأطلس)

هذا الجبل من أعظم جبال الدنيا يبلغ أعلاه حول مراکش ٤٠٧٠ متراً . قال ابن خلدون هذه الجبال بقاصية من أعظم جبال العمور بما أعرق في الثرى أصلها وذهبت في السماء فروعها ومدت في الجو هياكلها ومثلت سياجاً على ريف المغرب سطورها تبتدئ من ساحل البحر عند آسفى وما إليه وتذهب في المشرق إلى غير نهاية ويقال إنها تنتهى إلى أرض برقة تفجرت فيها الأنهار وجلل الأرض حمراء الشعر وتطابقت فيها ظلال الأرواح وزكت فيها مواد الزرع والضرع وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد وطابت مناسبت الشجر ودرت أفويق الجباية يعمرها من قبائل المصامدة أمم لا يحصيهم إلا خالقهم قد اتخذوا المعازل والحصون وشيدوا المباني والقصور واستغنوا بقطرهم عن سائر أقطار العالم ورحل إليهم التجر من الآفاق واختلفت إليهم أهل النواحي والأمصار اهـ .

أما هسكورة فكان جبلهم الذى أوطنوه من حاله دون القنة منها والذروة واعتصموا منه بالافق الفدد واليفاع الأشم والطود الشاهق قد لمس الأفلاك بيده ونظم النجوم فى مفرقه وتلفع بالسحاب فى مروطه وآوى الرياح الدجوة وألى إلى خبر السماء بإذنه وأطل على البحر الأخضر بشماريخه واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره وأقام سائر جبال درة (الأطلس) فى حجره .

مواطنهم منه متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة صنهاجة، يعرفون بزناكة بإشمام صاده زايا وإبدال الجيم بالكاف المتوسطة المخرج عند العرب لهذا العهد بي الكاف والقاف أو بين الكاف والجيم وهي معربة النطق كما لابن خلدون. ويطلق هذا الاسم على قبائل زينب ومرموش ويدرأس وقبائل مالو وزدك ومكدول وتروك ويسرى وغيرهم يقطنون بجبل فازازا من الأطلس بالجانب الشرقي منه ما بين تازا وتادلا ومعدن بنى فازان حيث الثنية المفضية إلى أكرسلوا.

قال ابن خلدون ويتصل بهم من جهة المغرب على ساحل قبيلة بناحية آذمور، وهي التي قدمناها في بيوتات دكالة، وأخرى ببلاد الريف قال ابن خلدون ولغتهم فى الأكثر عربية.

هرغة

قبيلة المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين موطنها بالجبل لكنها تلاشت واندثرت.

تينمل

أصحاب دعوة المهدي. هذه القبيلة قبله مراكش كانوا من أخلص الناس للمهدي فتحيز إليهم وبنى حصنه بهم فى محل أمنع من عقاب الجو لو أراد أربعة من الرجال أن يحفظوه من أهل الأراض حفظوه لخصانته ومناعته وقد تلاشى هذا الحصن بمرور الأزمنة وامتداد الأيدي العادية إليه حتى لم تبق منه

إلا إطلال ورسوم ويوجد به الآن الحفر والتنقيب عن آثاره العتيقة، ولا تزال به عدة قبور للمهدى وعبد المؤمن ويوسف ولده والونشريسى .
وقد دثرت هذه القبيلة شأن التى قبلها .

هنتانة

موطنهم الجبل المتاخم لمراكش المطل عليه، وكانت فيهم الرياسة فى الدولة الموحدية والمدينية وغيرها .

كدميوة وسكسيوة

موطنهم بصدف جبل هنتانة .

وريكة

مجاورون لهنتانة .

موجة العرب الداخلة للمغرب الأقصى فى القرن السادس

أمة العرب الموجودة تنقسم إلى قحطانية وهم عرب اليمن، وإلى عدنانية وهم الإسماعيلية عرب الحجاز، ومن العدنانية عرب مضر الذين دخلوا المغرب وهم عرب جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،

وهلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وسليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة، ورياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، جماعهم منصور بن عكرمة.

فهؤلاء الذين دخلوا المغرب وبلغوا شمال أفريقيا سنة ٤٤٣هـ. ولما دالت الدولة للسلطن عبد المؤمن بن علي وعلت سطوته على من بالمغرب نقل للمغرب الأقصى (جنوب أفريقيا) ألفًا من كل قبيلة بعيالهم وأبنائهم سنة ٥٥٥ انتهى كما في القرطاس: وفي الكامل لابن الأثير (ص ٧٠ ج ١١) في سياق حوادث ٥٥٠ في هذه السنة في صفر كانت الحرب بين عسكر عبد المؤمن والعرب فانجلت المعركة عن انهزام العرب وتركوا جميع مالهم من أهل ومال فأخذ الموجودون جميع ذلك فقسم عبد المؤمن الأموال على عسكره وترك النساء والأولاد وأمر بصيانتهم فلما وصلوا لمراكش أنزلهم في المساكن الفسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر ابنه محمد أن يكتب أمراء العرب فسارعوا إلى مراكش فأعطاهم نساءهم وأولادهم وأموالاً جزيلة فاسترق قلوبهم بذلك وكان بهم حفيًا فأقاموا عنده واستعان بهم على ولاية ولده محمد للعهد وكان هؤلاء العرب من هلال وزغبة وعدى وقره ورياح وغيرهم اهـ.

وفي دولة حفيده السلطان يعقوب المنصور لما أوقع بعرب أفريقيا الشمالية نقل جمهورهم إلى دواخل أفريقيا الجنوبية (المغرب الأقصى) فأنزل عرب جشم وما أضيف إليهم بتامسنا ودكالة البسيط الأفيح ما بين سلا ومراكش وآسفى وما إليه وأنزل رياحًا ببلاد الهبط فيما بين القصر واذغار إلى البحر البسيط الأفيح ولم ينقل بنى سليم بن منصور لأنهم لم يقاتلوه وذلك سنة ٥٨٤. ويسمى الناس هذين السبطين الأول بالحوز والثاني بالمغرب.

مواطن هؤلاء العرب على التفصيل

عرب دكالة - قال الإمام أبو زيد عبد الرحمن الفاسى فى كتاب الأقوم فى مبادئ العلوم .

فصل وفى دكالة بنو هلال أولاد عمران وعبدة يقال
أولاد بو عزيز الشرقية أولاد سبطة كذا الغربية
وهكذا العونات أولاد فرج سيدنا المذوب منهم خرج
وانضاف ذا الزمان أولاد دليم مع المنابهة كنا بهم عليم
أولاد عمرو ثم آل عامر كذا الشياظمة كل صائر

عرب دكالة ينقسمون إلى قسمين - دكالة البيضاء وهى الشمالية التى تحفظ هذا الاسم (دكالة) عند الإطلاق الخاص - ودكالة الحمراء وهى الجنوبية المحيطة بناسفى التى تحفظ اسم عبدة فى الإطلاق الخاص وفى التاريخ العام المغربى يتناول الإطلاق القبيلتين .

ثم إن قبيلة عبدة لها ثلاث عمائر - الربيعة - البحاترة - وآل عامر فالربيعة لها أربعة بطون - البخاتى - الشهالى - الأضالعة - سحيم - فالبحاترة لها ستة بطون - آل غياث - أولاد سلمان - دربالة - تمره - أولاد زيد الجحوش وأشجع (الزعر) - وآل عامر لها ثلاثة بطون الجرامنة - المويسات آل حسين - وكل بطن تحته أفخاذ وفصائل - وغالبها من عرب الحجاز وقد كان حول آسفى عرب سفيان من جشم . قال ابن خلدون كان سفيان هؤلاء أحياء حلولا بأطراف تامسنا مما يلى آسفى وكان صاحب رئاستهم فى دولة الرشيد الموحدى . . جرمون بن عيسى وهلك سنة ٦٥٩ - ثم كان ولده كانون

بن جرمون وعلا كعبه عند السعيد ثم أخوه يعقوب بن جرمون - واتصلت
الرياسة على سفيان فى بنى جرمون إلى عهدنا وأدركت شيخًا لعهد السلطان
أبى عنان - وهو يعقوب بن على بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون
ابن عيسى اهـ.

ويوجد الآن من بطون آل عامر من عبدة - الجرامنة - ولعلمهم منهم كان
صاحب رياستهم فى الدولة الإسماعيلية العلوية القائد علال المخزنى ثم ابن
أخيه القائد عبد الرحمن بن ناصر كان ذا شهرة فى عالم السياسة فى الدولة
المحمدية ثم فى أيام المولى هشام كانت إليه إدارة دفة سياسة الحوز وخلد آثارًا
جليلة بأسفى وتوفى سنة ١٢١٤ - واستقرت فيهم الرياسة إلى أواخر القرن
الماضى ثم دار عليهم الزمان بدورته والبقاء لله .

وقد ذكر الفقيه أبو عبد الله محمد العياشى فى كتاب زهر البستان أن
سفيان كانوا فى دولة السعديين حلولا بأطراف مدينة آزمو بدكالة فكان قبيلة
أولاد أبى عزيز الآن وكان السلطان أحمد المنصور قد أنزل أولاد أبى عزيز
الآن بطرف آذغار على وادى بهت وكانت حللهم منتشرة هناك إلى عين الشقا
حتى مات أحمد المنصور (سنة ١٠١٢) فانتقل أولاد أبى عزيز لبلادهم حذاء
آزمو وارتحل سفيان من دكالة للغرب فألفوا قبيلة مختار قد استولوا على
الحوض فزاحموهم فيه بالمناكب وما زالوا يختصمون عليه إلى الآن اهـ.

وهم الآن شمال وادى سبو بقبيلة الغرب مع بنى مالك من عرب سويد
وكان صاحب رئاستهم بآزمو فى الدولة السعدية القائد إبراهيم ابن عمر
السفيانى من أكبر قواد المنصور الذهبى بل كان معدودًا من وزرائه ولاه أمر
مدينة آزمو وما إليها فاستتاب ولده عليها القائد محمد بن إبراهيم وكان هو

المتولى ضبط حلة سفيان بدكالة مدة إقامة والده بفاس وكان إلى نظره حرب برتغال الجديدة. قال صاحب زهر البستان نقلاً عن رحلة الشهاب أحمد الحجري المعروف بأفوغاي أن القائد محمد بن إبراهيم حضر مع المنصور عيد الأضحى في ألف فارس من سفيان الذين كانوا بدكالة جنداً للمنصور ولما مات المنصور رجع سفيان للغرب وتوفى القائد محمد بعد رجوعه هناك وتوفى والده بفاس وبقي أولاده هناك رحمهم الله.

عدد أهالي عبدة يوجد بها من النسب ١٤٢٥١٩ من المسلمين،
١١٧٤ من الأورباوين، ٩ من اليهود.

عبدة بالصحراء

توجد عبدة بالساقية الحمراء مع عرب الركيات.

عبدة بالحجاز

قال فؤاد حمزة في كتاب قلب جزيرة العرب - عبدة هي إحدى القبائل الأربعة التي يطلق عليها شمر وهي: سنجارة، وتومان، وأسلم، وعبدة، ثم ذكر بطون عبدة، وقال أنها تملك آبار لينة والخضراء وزرود والشعلبية والأجفر، وتمتد منالها من أجا إلى ما وراء لينة - ومن عبدة آل ابن علي حكام الحائل - ثم آل الرشيد حكام حائل بعد آل ابن علي، وكان مؤسس رئاستهم بها أولاً عبد الله ابن علي الرشيد أوائل القرن الثالث عشر للهجرة في بلاد شمر من عشيرة الجعفر من فخذ الربيعية من عبدة وتداول الإمارة

بعده أولاده حتى قضى عليها الأمير عبد العزيز آل سعود سلطان الحجاز الآن وفقه الله .

عرب حمير

موطنهم يتصل بعبدة من جهة مراكش هم فى عداد دكالة عند الإطلاق العام ويختصمون بعبدة ويظهر أنها من عرب المعقل الحميرية .

وقد ذكر أبو القاسم الزياني فى الترجمانة الكبرى أن عرب اليمن دخلوا بعد المضرية لبرقة فوجدوا المضرية أمامهم بإفريقية والمغرب فتكبوهم وقصدوا بلاد الصحراء خلف درن وأموا المغرب على ودان وفزان وتوات ودرعة إلى وادى نول (نون) من أقصى سوس ومنها دخلوا لنواحي مراكش إلى أن دخل الخلط وسفيان من المضرية أمامهم فاقصروا بأحواز مراكش إلى آسفى اهـ .

الشياطمة

موطنهم على الشفة الجنوبية لوادى تانسيفت إلى مرسى الصويرة وهى من العرب المضرية كالحرث وغيرهم من عرب المعقل كما يوجد فيها من البربر مسكالة ورجراجة ويوجد فريق من الشياظمة شمال وادى أم الربيع فى عداد دكالة البيضاء .

أولاد مطاوع أخوة الحرث

يقطنون أحواز مراكش .

أولاد وليم

مواطنهم فيما بين مراكش ودكالة ويجاورهم الرحامنة وخمير من عرب المعقل الأولى شمالها والثانية جنوبيها.

عرب السراغنة

موطنهم قبلة مراكش.

عرب الشاوية أهل تامسنا

هم أخلاط من العرب والبربر نسبوا إلى الشاء لقيام عرب سويد منهم على رعاية شاء وإبل الدولة المرينية.

وفيهم من العرب - المقدم والعاصم وقررة والأصبح من الهلالين دخلوا فى غمار جشم فى الدولة الموحدية، ثم دخل سويد من رياح فى الدولة المرينية سنة ٧٧٠، وفيهم من اليمينية أولاد أبو عطية، ومن البربر زاتة ومديونه وعزاب. وكان بسيط تامسنا موطن برغواطة ثم لما تلاشت دولتهم حل محلهم العرب.

عرب الخلط

كان موطنهم تامسنا ثم تطورت بهم الحوادث فاستقروا ببلاد الهبط وكان دخولهم فى عدا جشم لكن المعروف أنهم من بنى المنتفق.

عرب تادلا

منهم بنو موسى والأعشاش والمطارفة والرزين ويعقوب وبنو عنان وحميان وسكدال وبنو مسكين وبنو عمير وعكارة والسوالم .

بنو جابر

في عداد جشم لكن قال ابن خلدون يقال إنهم من سدراته إحدى فرق زناة أو لواتة، ويزعم كثير من الناس أن ورديفة من بنى جابر اهـ.

عرب المعقل القحطانية

كون هؤلاء العرب من القحطانية هو ما صححه ابن خلدون وأبطل نسبتهم الجعفرية وباحثه في ذلك العلامة أبو العباس الناصري وصحح نسبتهم الجعفرية وكتب فيها كتابه طلعة المشتري في تحقيق النسب الجعفرى طبع بفاس فلينظر .

قال ابن خلدون أنهم من عرب المعقل دخلوا المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال إنهم لم يبلغوا المائتين وإنما كثروا بمن انضاف إليهم من القبائل من غير نسبهم فإن فيهم من مسلم - سعد بن رياج والعمور من الأثبج - وفيهم من فزارة وأشجع أحياء كثيرة - وفيهم الشظة من كرفة والمهاية من عياض والشعراء من حصين - والصبح من الأخضر ومن بنى سليم وغيرهم ونموا نمو الأكفاء له .

وهم ثلاثة بطون:

(١) ذوو عبيد الله - مواطنهم ما بين تلمسان إلى وجد إلى مصب وادى ملوية فى البحر ومنبعث وادى مامن القبلة إلى قصور توات وتنطيت .

(٢) ذوو منصور بن محمد بن معقل وهم معظم هؤلاء العرب - وينقسم هذا البطن إلى أربعة بطون - أولاد حسين - وأولاد أبى الحسين وهما شقيقان - والعمارنة والمنبأة أولاد منبا وهما أيضاً شقيقان ويقال لهذين البطنين جميعاً الأحلام - قال الزيانى أن معقلا جد الأحلاف وسقومه وأولاد عبد الله وأولاد نهار وأولاد جرار والودايا والمغافرة والبراييش وأولاد دليم والشبانة وزرارة وأولاد حسان وأولاد أبى السبع .

أما أولاد أبى الحسين فإنهم عجزوا عن الظعن ونزلوا قصوراً اتخذوها بين تافيلالت وتيكرارين .

كانت مواطن العمارية والمنبات مجاورة لأولاد حسين من ناحية الشرق وفى مجالاتهم بالتفر تافيلالت وصحراؤها وتل ماوية وقصور وطاط وتازا وبطيوة وغساسة .

وكانت المنبأة مع بنى عبد الواد فأنزلوهم بسجلماسة جنداً لهم ولما تغلب بنو مرين على بنو عبد الواد أوقعوا بالمنبات فى مجالاتهم بالقفر فتناقص عددهم .

ومن العمارنة كما فى زهر البستان - القبيلة التى بين سلا ومكناسة الزيتون والقبيلة التى فى طرف دكالة مما يلى مراکش اهـ . وهم أولاد عمران الذين فى عداد دكالة البيضاء الآن .

(٣) ذوو حسان - من بنى مختار بن محمد بن معقل - مواطنهم ما بين درعة إلى البحر وينزل شيوخهم بلاد نول (وادي نون) قاعدة السوس قديماً ويستولون على السوس وما إليه ويتنجعون الرمال إلى مواطن الملتمين من كدالة ومسوفة وملتونة كما فى ابن خلدون .

وسكان إقليم وادي نون هم قبيلة تكنة من عرب حسان وهى قبيلة ذات كثرة وعدد تبلغ اثنى عشر بطناً لها قصور ومدن على حفافى وادي نون منها اكلميم يقطنه اولاد عبيد الله ونسالم أصحاب رئاستهم من قديم وقضاتها من اولاد الولى الصالح سيدى أحمد الفلالى كان انتقل قديماً من بلده ونزل على اولاد عبيد الله وترك ذرية كان منهم والقضاة وآخرهم العلامة القاضى السيد عبد الباقي ابن أبو بكر قاضيهم على ما بلغنا الآن .

وهذا الإقليم هو آخر السوس الأقصى وهو أخصب ههذ النواحي وأكثرها مياه وزراعة وغراسة ونخيلاً يكون سفيها من ماء وادي صياه المسمى وادي نون .

وما وراءه صحراء الساقية الحمراء بينها وبين وادي نون أربعون مرحلة بسير الإبل المثقلة ينتجع صحراءها عرب الرقيبات وعبدة والعروسيون وأولاد دليم وأولاد أبى السبع وهذه الصحراء تعرف بالصحراء الصغرى وما وراءها إلى إقليم شنجيط يعرف بالصحراء الكبرى .

وقد انتقلت عدة قبائل من عرب المعقل إلى داخل المغرب ويظهر أن انتقالها كان تدريجياً فى أزمنة متباينة وخصوصاً فى لدولة السعدية التى كانت تجلب بهم على البرتغال فجاء المتطوعون من أقصى سوس وأطراف الصحراء فيوجد بقبيلة عبدة البعض منهم كقبيلة حمير المتصلة بعبدة مما يلى مراکش ولا

يزال إخوان حمير بهورة سوس - وكذلك حول مراكش وأولاد دليم وهربيل وتكنة وذو بلال والودايا .

قبيلة الثاردة

مؤلفة من زرارة والشبانة وتكنة كانت حول مراكش فنقل السلطان المولى إسماعيل بعض الشبانات منهم سنة ١٠٩٠ بسبب انتزاع كبيرهم عبد الكريم على مراكش وقتله آخر ملوك السعديين فأنزلهم وجدة وضيق بهم على بنى يزناس شيعة الترك إذ ذاك وبقي جمهورهم حول مراكش إلى أن وقع بينهم وبين السلطان المولى سليمان سوء التفاهم فاتصل ذلك إلى دولة المولى عبد الرحمن بعده فأوقع بهم سنة ١٢٤٤ ثم نقلهم إلى آزرار .

قبيلة الرحامنة

هذه القبيلة من عرب معقل من أوفر القبائل وأكثرها ذات شوكة وشدة كثيرة الثورات على الملك لكثرتها وعصبيتها ورئاستها من الدولة الحفيفية إلى الآن في يد القائد الشهير الطائر الصيت السيد العيادي بن الهاشمي الرحمانى أحد مشاهير قواد المغرب حسنت حالته أخيراً فاشتهر بكثير من المكارم الإسلامية والمحاسن الإنسانية إلى ديانة متينة ومحبة في العلم وأهله حتى أنه يحضر مجالس العلم ويبلغ في إكرام العلماء أثابه الله على قصده ووفقه .

وقد صرح الزيانى فى الترجمان المغرب بأن بالمغرب من عرب اليمن الحياينة حوزفاس وبنى حسن وأولاد أبو عطية بتامسنا وأولاد حسين بن عمرو

- والنصف من زمراه والنصف الآخر من الخزرج - وموطن زمران قبيلة
مراكش والله الموفق.

المدن والمراسى بهذا القطر الجنوبي المصمودى

مدينة قنط (كتتان) موقعها شمال آسفى على بعد نحو ٣٤ كيلو متر
بشاطئ البحر.

قال الحسن بن الوزان الغرناطى المدعو ليون الأفريقى، بناها الأفارقة
الأقدمون، ثم حكى قولاً بأن بناها الغوط.

وقال مرمول بناها القوط وقت استيلائهم على منطقة طنجة.

وكانت قبل اليوم كثيرة العمارة رائجة التجارة لكن حضر بها العرب أيام
طارق لما ذهب لفتح الأندلس وما بقي منها أتم البرتغال تخريبه ويرى الآن بعد
جدرانها مما بقى من الخراب وعرب الغربية هم الذين يتولون حكمها.

قال الحسن هى مدينة فلاحية ذات خصب وأهلها أهل ديانة واستقامة
وشجاعة لكثرة محاربتهم البرتغال اهـ.

وهى الآن لا أثر لها وفى موقعها الآن المنارة الشهيرة المعروفة (كاب
كتاب) أسست فى الدولة اليوسفية وهى من أهم منائر المغرب.

قصبة إير

هذه القصبة إحدى المحارس البحرية الإسلامية موقعها شمال آسفى على
لسان داخل فى البحر لها بابان أحدهما للبحر وعليه برج كبير والآخر للبر

وعليه برج كبير أيضاً وبخارج هذا الباب مسجد عتيق يحتوى على عشرين سارية له باب بحرى كتب عليه من داخل - فتح هذا الباب لجهة البحر منذ ١٢٠٠ - وله منار ومدرسة محتوية على عدة بيوت يدل ذلك على ما كان لأهلها من عناية بالقرآن والعلم والدين .

لم نطلع على تاريخ تأسيس هذه القصبه إلا أنها كانت موجودة فى اقرن الثامن الهجرى وتعرف فى التواريخ الفرنجية بـ (كاب إير) - وهى إحدى النقط التى كان احتلها البرتغال - وكانت لرجل برتغالى بها دار لصيد السمك فاشتراها من سلطان البرتغال وبنى بها برجاً سماع سانت كسروى (الصليب المقدس) وكان هذا البرج مركز الجنوب البرتغال الذين يذهبون للجنوب (أسفى) بقصد الاستطلاع والانقضاء .

وفى سنة ١٥١٧م موافق سنة ٩٢٢هـ توجه إليها الشريف أبو عبد الله محمد السعدى فشق البلاد حتى بلغ إليها وحاصرها فكان من حسن حظه أن انفجر برميل بارود بداخلها فانهدت بسببها بعض الأسوار فاختل نظام البرتغاليين وأسلموا أنفسهم أسارى للشريف .

يسكنها الآن قوم من صنهاجة وغيرهم كانوا محل إجلال من ملوك الإسلام لقيامهم بحراسة البحر وهى الآن آخذة فى التلاشى على رغم وفرة سكانها وفقهم الله .

قصبه الوليدية

موقعها على شاطئ البحر على مقربة من إير وهى مربعة الشكل على أطراف سورها المتلاشى أبراج .

قال أبو القاسم الزياني في الترجمان المعرب: إن الوليد بن زيدان السعدى هو الذى بناها بساحل دكالة على البحر ومرساها من أحسن المراسى كالصندوق هـ.

وكان هذا المرسى مفتوحاً فى الدولة السعدية. ونسبت للوليد لكونه والله أعلم بناها على الصفة الموجودة، وإلا فهى أقدم من ذلك فقد نقل الزياني نفسه عن العلامة القسنطينى صاحب أنس الفقير أنه دخل فى سياحته قصبة الوليدية سنة ٧٦٣.

وقد شملها احتلال البرتغال ولعله لما انجلى عنها خربت فبناها الوليد، ويؤيد ذلك وجود أثر سور قديم بأحد جهات القصبة من الخارج.

يسكنها قوم من دكالة من بينهم عائلة سملاية من سوس الأقصى درج فيهم علماء ووجهاء ولا زال أعقابهم بها ولعل سلفهم نزلوها فى الدولة السعدية النابغة من سوس فكان أنصارهم من سوس دخلوا معهم متجندين ومتطوعين وكان الذى يتولى إدارة أحكامها من مراكش يستنيه باشاها ولا تزال أطلال داره موجودة بها وبخارجها زاوية الفقيه الصالح الرحالة سيدى عبد السلام الغواص اليمنى كان بكل من الزاوية والقصبة مدرسة ومسجد حازتا شهرة ونبغ منهما عدة علماء لكن تدهور ذلك الآن تدهوراً كلياً والبقاء لله سبحانه.

مدينة الغربية

هى على بعد نحو ٢٠ كيلو متر من الوليدية قبله منها فى بسيط من الأرض مربعة الشكل متسعة الأرجاء واسعة المساحة يوجد لها الآن ثلاثة

أبواب: باب مراکش، باب آسفى، باب الوليدية، وعلى كل باب منها برج
وفى كل ربع ثلاثة أبراج الجميع ١٨ برجاً.

أسسها قبائل دكالة قبل الإسلام أو فى صدره ثم خربت سنة ٦٦٧،
فأسسها أبو عنان المرينى ثم خربت سنة ٩٢١، ثم عمرت ثم خربت الخراب
الأخير إلى الآن وإليك كلام المؤرخين فى أطوارها.

قال مرمول فى الجزء الثانى من تاريخه أنها بناها الأفارقة الأقدمون فى
بسيط من الأرض أفيح حسن المنظر ما بين آسفى وآزمور ولها سور وأبراج
كانت فى القديم ذات رفاهية وعمران وهى عاصمة تلك الناحية ولم يكن فى
مدن المغرب أخصب من ناحيتها ولما كانت تحت سلطة البرتغاليين توجه إليها
أخو سلطان فاس فأبأدها إلا أنها تجددت عمارتها بعد ذلك إلى أن كانت
مجاوعة سنة ٥٢١ فخربت.

وفى كتاب اكتاسام اكتروم عدد ٥٦١ من الفصل الثالث أن مولاي
الناصر أبو على بن محمد الشيخ الوطاسى الذى كان يدعى بصاحب مكناسة
وتادالا وسلا توجه إلى دكالة فى أبريل سنة خمسة عشر مائة م (موافق سنة
٩١٩هـ) بحكم النيابة عن أخيه ملك فاس محمد بن محمد الشيخ الوطاسى
وهدم المدينة بها وهى الغربية اهـ.

وقال الحسن بن الوزان: هى عاصمة دكالة والنواحى المجاورة لها
وكانت هى المدينة الوحيدة فى هذه الناحية لباس أهلها الصوف ولهم شجاعة
واقدم وولوع بركوب الخيل وكسبها وكان سلطان فاس أرسل لكبرائها بعدما
سقطت فى يد البرتغال وأمرهم بشق العصا عن البرتغال ونهاهم عن أداء
الجزية له فأبى كبيرهم فأمر السلطان بجلده وأخذ ماله فشفعوا فيه فقبل
شفاعتهم وأخلت المدينة امتثالاً لأمره سنة ٩٢١هـ.

وقال أبو العباس أحمد بن إبراهيم المشتراوى^(١) فى كتاب سلسلة الذهب المنقود فى ذكر أعلام من الأسلاف والجدود من جواب للفقير السيد الكبير ابن عبد الكريم الشاوى المراكشى: إن قبيلة مشتراية كان سكانها بالمدينة التى يقال لها مشتراة سميت باسمهم من تسمية المحل باسم الحال فيه ويقال أنها من بنائهم بنوها فى أول الإسلام وتحصنوا بها حين تضايق البربر مع الإفرنج.

ومن غريب الاتفاق ما قيل أن هذه المدينة على شكل مدينة المصطفى ﷺ ولم يبق منها إلا الآثار ورسوم الديار بالبلاد الغربية من وسط صقع بلاد دكالة واتصل سكنى قبيلة مشتراة بها إلى أن اندرست عمارتها فى المائة السابعة أوائل دولة بنى مرين وبها مات الواثق المعروف بأبى دبوس آخر ملوك الموحدين سنة ست وستين وستمائة ففرقوا حينئذ فى أقطار الأرض، وانتقل أكثرهم إلى مراكش وتحصروا بها وما زال بها الجم الغفير من أعيانها من العلماء والصلحاء والولياء وأهل الخير رحمهم الله اهـ.

ثم اختطها ثانيًا السلطان أبو عنان المرينى المتوفى سنة ٧٥٩.

قال لسان الدين محمد بن الخطيب فى كتاب نفاضة الجراب لما مر بسور موسى على مقربة منها سنة ٧٦١، وقد رفع إلى السلطان المغربى بتخليد الآثار

(١) قد وقع للإمام سيدى محمد بن جعفر ضبط هذه النسبة بالشين المثلثة ثم النون ثم الزاى وعزاه لابن إبراهيم هذا والذى عندى أنها بالباء المثناة فوق بعد الشين ثم الراء المهمله لأ البلاد بلاد علم من قديم ولا يوجد من ينطق بها إلا بالباء وسألنا من لهم معرفة منهم فانكروا الأول ولا شك أن تداولهم لها كذلك خلقًا عن سلف أولى من ضبط غيرهم على بعدهم على أن كتاب ابن إبراهيم بين أيدينا ولا يوجد فيها ما عزى إليه، ولعل الناقل اتكل على بعض التقايد وقد رأيتها بالباء مرسومة فى نسخة عتيقة من التشوف والله أعلم.

أبى عنان المريني رحمه الله خبر ما عليه الناس من إخافة عدوهم واهتضام عرصتهم فمر بارتياح محل لتأسيس مدينة فاختر على غلوات منهم (أهل سور موسى) محل أرضه صخر منطبق على تراب يتأتى فيه اتخاذ الخندق غير متلوم السفا بعيد العوى بينى السور بما يخرج من الثرى ويصون الأطباق المعد للاختزان عن أضرار السماء ويكون سطح الأرض على خمس قامات من منبع الماء فشرع فى البناء ومثلث الأبواب العديدة والأبرج المشيدة وعاز عن إتمامها هجوم حمامه وانصرام أيامه فرغب أهله فى التنبية على تكميل نقيصته واحتياز حسنته اهـ.

ثم خربت لما استولى عليها البرتغال فى العاشر الهجرى الموافق للقرن الخامس عشر المسيحى ولم يعد إليها عمرانها ولا تزال بها أسوار وأطلال عادية وبها دار القائد الشهير محمد بن حميدة الغربى قائد الغربية الآن مع جملة من السكان.

مدينة تينظفطر (تيط)

موقعها بجنوب ثغر الجديدة على مقربة منها وهى إحدى المراسى العتيقة، قال الحسن بن الوزان: بناها الأفارقة الأقدمون، وقال أبو القاسم الزيانى أسسها أمراء صنهاجة لما استقر البربر بالمغرب اهـ. نزلها شرفاء بنى أمغار من الأدارسة وبهم اشتهرت وقصدت من الآفاق وكثر عمرانها وصارت معقل العلم والدين وسراج الهدى للمهتدين وظلت مورداً معيناً لأهل العلم والدين طيلة أربعة قرون فأزيد.

قال الحسن كانت فى القديم كثيرة العمارة ذات خصب وافر ولما احتل

البرتغاليون آزموور (سنة ٩١٤) سقطت فى أيديهم وأدى أهلها الجزية للبرتغال لكن مولاى الناصر أحو السلطان الوطاسى لما ذهب إلى تلك الناحية لإنقاذ المسلمين من قيد النصارى فقبض الجبايا على يد أمين بيت المال البرتغالى ويهودى أعانه على ذلك فحمل أهل هذه الناحية إلى قرية تقرب من فاس أرضها صحراء تبعد عن فاس بنحو ثلاثة فراسخ ومن ذلك العهد لم يعد إليها عمرانها .

ونقل صاحب زهر البستان عن رحلة الشهاب أحمد الحجرى المعروف بأفوغاى أنه مر بها ليلاً آخر القرن العاشر أو فاتح الحادى عشر فرأى صومعتها وهى خالية من أهلها اهـ، وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم العبدونى فى كتاب العقود الوسطى أنه بر بها سنة ١١٦٥هـ فما وجد بها حسيماً إلا من يرد عليها من الزوار وبها آثار بناء قديم ومساجد وصوامع وعمارات اهـ .

نعم قد انتعشت عمارتها صدر القرن الثالث عشر الهجرى لما استوطنها القائد محمد بن العروصى الدكالى الهللى فاستبد بمرساها وسرح منها الوسق فكانت تردها البواخر التجارية كما استبد أخوه القائد الحاج الهاشمى بمرسى الجديدة وكانت إمارة دكالة نقسمة بينهما قسمين وربما استبد بها أحدهما دون الآخر وكانت وفاتهما سنة ١٢١٤هـ، ومن حينئذ أسرع إليها الخراب وأجفأها السكان وتمادى بها الحال حتى لم يبق بها الآن إلا صومعتها البارزة والبرج المشيد فى واجهة البحر مع القبيب المشيدة على عظماء هذا البيت كالشيخ أبى الفداء إسماعيل والشيخ أبى عبد الله أمغار والشيخ أبى يوسف يعقوب بن أبى عبد الله أمغار وغيرهم .

ولشاعر الملحون أبى عسرية البوفى اغربى الدكالى قصيدة فى رثاء هذه

المدينة وأهلها تقصى فيها ذكر المساجد والصوامع والمدارس والأسواق وما كان بها من وفور العمارة وآثار الحضارة والعلوم والصنائع وغير ذلك والبقاء لله .

مدينة ثغرا الجديدة

تبعد عن أسفى بـ ١٥٠ كيلو متراً شمالاً منه فى مستوى من الأرض معتدلة المناخ طيبة الهواء تقصد كثيراً للاصطياف وكانت تسمى أولاً البريجة ثم سميت المهدومة، ثم سميت الجديدة بحسب أطوار حياتها . كانت أوليتها برجاً متخذاً لحراسة البحر ومن أجله سميت بالبريجة .

وفى سنة ٩٠٧هـ موافق سنة ١٥٠٢م خرج أسطول برتغالى للإغارة على تاركة - مرساة على بعد ٣٥ كيلو متراً من تطوان - فجاءت عاصفة شتت شمله إلا مركب الرئيس فأجأته العاصفة إلى البريجة فنزل إليها فيمن معه وحصنوا برجها لتلا يغار عليهم المسلمون فأعجبهم مناخها، ووجدوا فيها ملجأ عظيمًا ولما أرادوا الرجوع تركوا بها اثني عشر رجلاً معهم الكفاية من العدة والمؤونة ولما بلغوا لشبونة مثلوا بين يدي ملكهم متويل وطلبوا منه الإذن فى بناء برج هناك فأذن لهم وزودهم بما يحتاجون إليه من المواد فأخذوا فى البناء لكن عاجلهم المسلمون ومنعوهم من البناء فأقلعوا راجعين .

لكن ما أسرع ما نام المسلمون نومتهم الطويلة عن ولئك الناس الذين أقلعوا وفى قلوبهم من أمرها ما فيها، فإنهم أقلعوا ريثما غفل المسلمون ورجعوا فى سربال الخفاء مستغلين فرصة الغفلة فانبثوا فى تلك البقعة الجميلة التى كانت باب ولوجهم لهذه البلاد فانقضوا عليها وكان ما سنسطره فى القسم السياسى .

نعم فى سنة ٩١١هـ موافق ١٥٠٦م اهتم مانويل بالأمر نفسه، فأوفد العملة والبنائين وأصحبهم كمية من رجال الدفاع فصادفوا غفلة المسلمين وشرعوا فى البناء ليلاً ونهاراً وبنوا حصناً مربعاً أحد أركانه البريجة القديمة، ثم اتخذوا فى وسط الحصن ماجلاً عظيماً مربعاً لحبس الماء مساحة كل ربع منه ٣٦ خطوة، وقبوه من الحجر المنحوت مرفوعاً على ٢٥ سارية فى وسطه، و٢٠ سارية بجوانبه. وقد رأيت كتابة على لوح ببابه مترجمة بالعربية بما لفظه: هذا المحل ديوان الحصن الأول الذى بناه البرتغاليون فى نحو عام ١٥٠٩م مطفية بعدما كملوا بناء سور المدينة فى عام ١٥٤١م، ثم لما أكملوا الماغل المذكور شرعوا فى بناء سور المدينة فعمدوا إلى بقعة مربعة مساحة كل ربع ٣٥٦ خطوة، وجعلوا مركزها الحصن الأول وأداروا بها سورين عاديين عرض الخارج منها ١٥ شبراً، والداخل نحو الثلاثين منه، ثم ردموا ما بينهما حتى صار السوران سوراً واحداً فى عرض ٥٠ شبر على غاية من الإتقان والأحكام.

ثم أداروا بالسور خندقاً بعيد العمق يقدر بـ ١٤ شبراً يفيض فيه البحر فيملاًه وجعلوا لها ثلاثة أبواب أحدها للبحر، وقد كان أغلقه المسلمون بعد رجوعها إليهم، ثم رأيت العمل فى فتحه سنة ١٣٥٠هـ، واثنان للبر وجعلوا أمامهما قنطرتين فوق الخندق يخفضان ويرفعان، واستمر البرتغاليون بها إلى سنة ١١٨٢ فحاصرها السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى بجيوشه وشدد عليها الحصار وصب عليها وابلاً من الكور والبنب وبعد عجزهم عن مقاومته أخلوها له لكنهم لما عجزوا عن الحرب علانية لم يعجزوا عن حرب الخداع والمكر فتركوا فى كل حومة ميناء بارود وتركوا رجلاً أوقدها عندما دخل إليها المسلمون فمات بها نحو خمسة آلاف مسلم.

وقال العلامة القادري في النشر أن السلطان المذكور أطلق عليها الكور والبنب حتى أخرجهم منها وهدمها وهو الذى سماها المهدومة اهـ.

وقال صديقنا العلامة الأديب المؤرخ النقيب أبو زيد مولاي عبد الرحمن ابن زيدان حفظه الله فى كتاب إتخاف أعلام الناس، نقلاً عن المولى عبد السلام بن السلطان سيدى محمد بن عبد الله أن من مآثر والده بناء مدينة تيط (الجديدة) وأنه لما فتحها سنة ١١٨٢ خربها ثم أمر بتجديد غمارتها سنة ١٢٠١هـ، واتخذ بها ألفاً من العسكر من جنود الوصفان وأدار سورها وعظم بها العمران فصارت إحدى مدن المغرب يقصدها التجار من الآفاق وتردد إليها القوافل والرفاق وترسوا بها السفن الجهادية والتجارية، فجاءت من أحسن الحسنات وأعظم الآثار اهـ.

ويخالفه ما جاء فى كتاب الاستقصا من أن الشريف سيدى محمد بن الطيب العلوى لما ولى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام تامسنا ودكالة وأعمالها، فاحتل الجديدة وكانت يومئذ خربة لا زالت على الهيئة التى فتحت عليها أيام السلطان سيدى محمد رحمه الله، وكانت تسمى قبل الفتح بالبريجة فلما فتحت وتهدم سورها بالميناء صار الناس يسمونها المهدومة، فأمر سيدى محمد بن الطيب ببناء سورها وترميم ما انثلم منها وسماها الجديدة وتهدد من يسميها بغير ذلك، فسميت الجديدة من يومئذ وهو الذى بنى القبيبة الصغرى المقابلة لباب المسجد الجامع بها اهـ.

والظاهر أن صاحب الاستقصا لما بلغه اعتناء سيدى محمد بن الطيب بها فهم من ذلك أو قيل له أنها كانت لا تزال على حالتها يوم الفتح والحقيقة أن فاتحها اعنى بإصلاحها وإدارة سورها ولعله وقع التفريط فيها بعد ذلك حتى خيل للناس أنها كذلك من يوم الفتح.

وقد دخلتها عدة إصلاحات فى دولتى السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن وولده المولى الحسن غالبها فى دولة الثانى بواسطة عامليها القائد الأنجد أبى عبد الله محمد بن إدريس والقائد محمد بن الحمدونية .

مساجدها

يوجد بها أربعة مساجد أقدمها المسجد الذى بداخل السور القديم وأعظمها مسجد ابن الحمدونية خارجه كان قد ابتداء تأسيسه القائد الحاج الهاشمى بن العروصى الهلالى الدكالى صاحب رياسة دكالة صدر القرن الثلث عشر هجرىاً، ولما رفع بعض أسواره عاقته عوائق عن إتمامه فبقى مهملاً إلى أن تولى أمر الجديدة القائد محمد بن يحيى بن الحمدونية البوعزيزى الحسانى الدكالى فالتفت إليه وأكملة على أحسن حال .

مسجد البحر من تأسيس المحسنين وتبرعاتهم وبالأخص المشرى الشهير الحاج عمر التازى وأخيه السيد عبد اللطيف وغيرهم وكان ابتداء تأسيسه سنة ١٣٢٨ - وتمامه سنة ١٣٣٠ .

ويوجد بها غيرها ممن لا تقام فيها الجمعة كما كان بها على عهد البرتغال أربع كنائس لست على علم الآن من أمرها كما تأسست بها مدرسة للحكومة على الطرز الحديث ومستشفى عصرى ومدرسة وطنية تأسست أخيراً سنة ١٣٥٢ .

وكان بها من الآثار الخيرية للقائد ابن الحمدونية محل لإيواء الغرباء المنقطعين يقوم بمؤنتهم ويزودهم لبلادهم أو حيث يريدون .

وقد زحرت عمارتها فى العصر الحاضر وكثرت بها الأبنية الأنيقة وانتشرت بنواحيها وقصدها التجار وهى مورد حاصلات قبيلة دكالة الغنية بمتوجاتها الزراعية ولحسن موقعها وطيب هواها يهرع إليها الناس كثيراً للاصطياف بها حتى صارت من أعمار المراسى وقد بلغ عدد نسمات أهلها ٢٨٣٤ - أهليا - ٢١٣٥ - أوريبا .

مدينة آزمور

موقعها على ضفة وادى أم الربيع الجنوبية على مقربة من البحر تبعد عن الجديدة ب ١٧ كيلو متر .

وهى مدينة عتيقة يرجع تأسيسها إلى ما قبل الميلاد المسيحى ولها ذكر فى المدن الموجودة على عهد الفينيقيين . وقال أبو القاسم الزيانى أنها أسسها أمراء صنهاجة لما استقر البربر بالمغرب .

وعنها يقول ابن الخطيب السلماني فى كتاب الاختيار فى ذكر المعاهد والديار - آزمور جار وادرديف وعرور ربيع وخريف وذو وضع شريف اطلعت على واديه المنازة والمراقب كأنها النجوم الشواقب وجلت من خصبه المناقب وضمن المرافق نهره وبحره المصاقب بلد يخزن الأقوات ويملا اللهوات باطنه الخير وإدامة السمك والطير وساكنه رفية ولباسه يتخذ فيه ومسكنه نبيه وحوته الشابل ليس له شبيه لكن أهله إنما حرثهم وحصادهم اقتصادهم فلا يعرفون أرضاخاً^(١) ولا ورداً نضاحاً اهـ .

(١) الأراضاخ العطاء وقد ساقه ابن الخطيب من مساويهم لكنه فى الواقع مدح لأن الاعتماد على الحرف الحرة أعم نفعاً وأفضل من أراضاخ السلطان لأن الأراضاخ ليس بمورد طبيعى للرزق ولأنه غالباً سم قاتل وقد زاد ابن الخطيب من مبالغاته فى الذم ما تركت ذكره صوتاً لقلمى عن فحش القول والله يغفر لنا وله .

وفى سنة ٩١٤هـ استولى عليها البرتغال ولم ينجل عنها إلا بعد أن
خربها أيام السلطان أبى العباس الأعرج الزيدانى السعدى اهـ.

كان لها فى القديم شأن فى العلم والدين والرياسة والعمران تخرج منها
الأئمة الأعلام كانوا نجوم هدى للأنام وهى قبل كل شىء مدينة فلاحية
صارتها الحبوب من دكالة بجنوبها والحناء الهشتوكية من شمالها والحوت
الشابل من واديهـا .

نعم قد تفهقرت عمارتها العلمية والعمرانية لما استولى عليها البرتغال
فانجلى عنها أهلها فأباد معالمها وآثارها، ولما انجلى عنها كان نصيبها منهم
التخريب أيضاً وكان انجلاؤهم سنة ٩٤٤ للهجرة فعمرها الملوك السعديون
لكن لم تعد لخالتها السالفة وزاد الطين بلة وجود جارتيهـا الدار البيضاء
بشمالها والجديدة بجنوبها فنفس ذلك ؛ له عمرانها . وأهلها إلى الآن أهل
مسكنة وديانة وفلاحة لا يخلون من أهل العلم والفضل .

مساجدها

يوجد به سبعة مساجد تقام الجمعة فى خمسة أعثقها مسجد القصبة
وكان تأسيس الجميع بعد انجلاء البرتغال فما بعده .

مدارسها

كانت بها مدرسة للسلطان ابن الحسن الميرنى أواسط القرن الثامن
الهجرى وهى مما أباده البرتغال ويوجد بها الآن آثار مدرسة يقال أن لها نحو

ماتى سنة قيل أن بناءها مع مسجد المدينة وقد سقط سقفها ولم يبق إلا حيطانها.

مدرسة الزاوية المختارية - كانت هذه المدرسة يدرس فيها الفقيه العلامة المرشد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن دخ الأزمورى المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٢٨٤ - وهى الآن مهملة وتقام فيها بعض الصلوات الخمس ولها أوقاف تقوم بأودها ويوجد بها الآن مدرسة عصرية للحكومة .
عدد أهاليها ٨٧٠٨ أهليا - ١٢٧ أوريبيا .

قصبة أبى الأعوان

هى مسورة على الضفة الجنوبية من وادى أم الربيع من قبيلة دكالة تبعد عن البحر بنحو مسيرة يوم فأكثر . قال الحسن بن الوزان أسسها السلطان عبد المؤمن بن على الموحدى وكان فيها خمسمائة بيت من بيوتات الأشراف والأفاضل يحترفون بكسب الأنعام والفلاحة لخصوبة أرض دكالة ورغد عيشها وكان أقلهم يملك مائة من البقر أما الحبوب فكان البعض يملك ما بين الألف والثلاث آلاف عبرة من الحبوب ، وبها كانت دار الأضياف يأكلون ويشربون على نفقة الجماعة اهـ .

وقد شملها احتلال البرتغال ثم انجلي عنها وبقيت مهملة فبناها السلطان المولى إسماعيل وجعلها أحد الملاجئ العسكرية وكان لولده عبد الله با دار كان نازلاً بها سنة ١١٥٧ فى مطاردته أخاه المولى المستضىء فمكث بها سنة ولا تزال الآن أسوارها ماثلة يسكنها بعض المعمرين الأورباويين ومن انحاش إليهم .

الصويرة التي على وادى تانسيفت

موقعها جنوب آسفى على مصب وادى تانسيفت من العدو الشمالية تبعد عن آسفى بـ ٣٨ كيلو متر وهى إحدى المراكز البرتغالية وسورها لا يزال محفوظاً خالياً من السكان وكان مرساها يعرف قديماً بأكورز. قال أبو عبيد البكرى فى المسالك رباط فرز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج إلا فى زمان الأمطار وتكدر الهواء واغبرار الجو فحينئذ تصدف لهم الرياح البرية، فإن تمادى ذلك سلموا، وإن أصحى الجو وصفا الهواء هبت عليهم الرياح من الغرب فيهبج عليهم البحر ويقذفهم فى البرارى فقل ما يسلمون اهـ.

وقال فى موضع آخر رباط فوز يعمره الصالحون وهو ساحل أغمات اهـ. وهو إحدى رباطات رجراة القديمة.

قصة ابن حميدوش

موقعها على العدو الجنوبية من وادى تانسيفت على مقربة من الصويرة المذكورة مسورة فى بسيط من الأرض بسور متين واسع عليه ثمانية أبراج توجد مدافعها ساقطة على الأرض، وفى وسطها دار كبيرة يحيط بها سور عظيم كان بها مسجد ومنازل هدمت بعد سنة ١٣٣٠ - وحملت أنقاضهما إلى ما جاورهما من البلاد وبين السورين عدة مخازن وأصرية منحوتة فى الأرض مرفوعة على أبنية عظيمة يصعد إليها بمدرج.

لست على علم من مؤسسها إلا أنها كان يسكنها عمال الشياظمة من أولاد ابن حميدوش الذى يقربها.

ترجع خمسة منهم على منصة رئاسة هذه القبية فى الدولة السعدية والعلوية آخرهم القائد علال بن حميدوش الذى كان والياً على القبيلة سنة ١١٥٧ - ويظهر أنها من تأسيس الدولة السعدية وهى اليوم وقبله خالية تبكى حوادث الدهر وصروفه والبقاء لله .

الصويرة الجديدة

إحدى مراسى الجنوب تبعد عن آسفى بـ ١٣٠ كيلو متر أسسها السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى رحمه الله سنة ١١٨٢ ، وكان مرساها قديماً يعرف بمرسى امقدول . قال عنه البكرى فى المسالك أنه مرسى مشتى مأمون اهـ . ولكونه كذلك بنى السلطان المذكور به هذه المدينة ليتأتى لسفنه وقراصينه الدخول للبحر والخروج منه فى كل فصل من فصول السنة ، وقد بالغ رحمه الله فى حسن وضعها والتأثق فى بنائها وهندستها حتى جاءت من حيث الهندسة والشكل من أحسن مدن المغرب ، ولما أكملها ندب الناس لعمارتها فبنى بها القواد والعمال الدور وجلب إليها العدول والفقهاء المدرسين والقاضى والصناع من فاس ، فكانوا يتناوبون سكنها مدة من الزمان ويبدلون بغيرهم وغيرهم ، وعطل لأجلها مرسى أكادير وآسفى ريثما اشتهرت بين الناس فهى قبل اليوم مورد الواردات على اختلافها من سهول سوس وجبالها وقبائل الشياظمة ودكالة وغيرها .

نعم لما فتحت مرسى أكادير منذ خمسة أعوام نفست عنها ، وكذلك تسريح الوسق من آسفى قبل ذلك بمدة طويلة .

وتوجد بها معامل التجارة فما شئت من صناديق وموائد وغيرها من آلة

اليوت على أشكال متنوعة بالغة الغاية فى الإتقان والإبداع وقد تأسست بها مدرسة للتجارة على النمط العصرى وأخرى للحدادة.

مساجدها

يوجد بها أزيد من خمسة مساجد تقام الجمعة فى ثلاثة منها.

مدارسها

يوجد بها خمس مدارس مهمة وربما انقلب بعضها إلى غير ما أنشئ له وخزانة كتب من آثار السلطان سيدى محمد بن عبد الله كغالب آثارها، وقد أسست بها الحكومة مدرسة ابتدائية على النمط الحديث ومستشفى عظيم الأهمية يحتوى على جميع اللوازم من جملتها معاهد دينية لأهل كل دين من مسلمين ونصارى ويهود ليتأتى للجميع أداء طقوس دينهم ودراسة معلوماتهم وتعليم الولدان الذين يأتون هناك وهذا عمل جليل القيمة.

كما تأسست بها جمعية خيرية إسلامية على رأسها الباشا العامل المخلص السيد محمد المجبود، فقامت بواجب عظيم فى جانب الضعفا والمعوزين الذين تقطعت بهم الأسباب وعضهم الدهر بنابه، جزى الله المحسنين خيراً وقاتل البخل والبخلاء.

عدد أهلها ١٤٦٤٦ أهلياً، ١٠٠٥٢ أوريباً.

الصويرة القديمة

تبعد عن الصويرة الجديدة السالفة بنحو ١٧ كيلو متر موقعها على الضفة الشمالية من وادي حاحة المنصب في المحيط على مقربة من الصويرة الجديدة وهي قصبة مربعة الشكل على غاية من الإتقان والصلابة على رغم خلوها من العمران منذ أزمان لم يعد الدهر على كثير من أسوارها.

يقول أبو القاسم الزياني أن الصويرة القديمة من تأسيس ملوك حاحة قبل الإسلام - وهذا ينبيء عن قدم العمارة بها ولكن البناية الموجودة الآن من آثار الملوك السعديين ابتداءً ذلك السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي ثم قمه ولده السلطان أحمد المنصور حيث كانت مركزاً كبيراً لمعامل السكر وزرعة قصبة في البساتن التي بجانب الوادي وبها كانت الوقعة الشهيرة بين جيش النظام الفرنساوي وبين قبائل حاحة وغيرها على رأسها القائد عبد الرحمن انفلوس سنة ١٣٣٠ استمات فيها الفريقان فانجلت عن موت الكثير من الفريقين.

مرسى أكادير

يبعد عن الصويرة بـ ١٧٥ كيلو متر. قال أبو القاسم الزياني أن قلعة أكادير من تأسيس ملوك حاحة قبل الإسلام له. وقد استولى عليها البرتغال حوالي سنة ٩١١ ثم أجلاهم عنها السلطان أبو عبد الله الشيخ سنة ٩٤٧ هـ موافق ١٥٤٢ م. ثم اختط به حصناً حصيناً من السنة المذكورة.

مان هذا المرسى منفذ محصولا سوس ومنتوجاتها الوافرة ومقصد السفن

التجارية من أوروبا وغيرها إلى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة، ففضى عليه السلطان سيدى محمد بن عبد الله، حيث إنه كان يستبد به الثوار ويمدون أيديهم لتجارة الأجانب ويجر ذلك ما لا تحمد عقباه - وأسس عوضه مرسى الصويرة، ومن ذلك الحين وهو مهمل إلى أن فتحت فرضته الجميلة فى وجوه البواخر التجارية منذ خمس سنين والتفتت إليه الحكومة بوجه خاص وأرصدت لإصلاح ميناه - ١٨ - مليون من الفرنك فاشتهر وقصده التجار ولا تزال عمارته فى ازدياد - عدد نسماته ٣٨٩٨ من جملتهم ١٦٦٥ أوريبا .

حصن فوتنى

هو حصن على مقربة من مرسى أكادير بأعلى ربوة وبأسفل الربوة قرية وطنية بها مسجد تقام به الجمعة، وهذا الحصن أسسه البرتغاليون لما احتلوا هذا الشاطئ وحصنوه ببرج منيع وبنوا به الدور، ومنه كانت تروج تجارتهم مع أهل سوس وقد اجلوا عنه سنة ٩٤٧هـ - وهو الآن معمور بالسكان.

مدينة تزنيت

موقعها جنوب أكادير على بعد ٩٠ كيلو متر مسورة فى بسيط من الأرض صحراء لى رغم وفور المياه بها، ولا يزال الإصلاح بها متتابعاً كانت أوليتها مدشراً كبيراً غير مسور وحواليه اشبارات لدفاع عادية القبائل . ولما مر بها السلطان المولى الحسن رحمه الله ١٣٠٤ راجعاً من جولته السوسية سنة ١٣٠٣ وقف عليها وأمر بتسويرها وأمر برسم مساحة كبيرة وبالفعل أنفذ لها

المال الكافى وترك من يقف على العمل فيه، بكن بالأسف أن الواقفين عليها تركوا من مادة السور المرسوم كثيراً ضناً منها بالمال لأنفسهم على ما قيل فقبح الله الخائنين وقبح صيغهم حيث إنهم عرقلة لكل إصلاح.

وبها ثلاثة مساجد ومدرسة علمية على النمط القديم وأخرى عصرية على النمط الحديث وبها دار الخليفة على سوس من قبل السلطان فى عصرنا هذا، وقبله منذ أيام العزيزية عدد نسمات أهله ٥٠٧٥ أهلياً - ٣٨٥ أوريباً.

مدينة تارودانت

موقعها بسفح الجبل الأطلسى بين جنوب وقبلة مراكش على بعد نحو ٨٥ كيلو متر من أكادير - قاعدة السوس الأقصى ومقر خلفاء ملوك المغرب على القطر السوسى قبل عصرنا هذا.

قال أبو القاسم الزياني أنها من تأسيس أمراء قبائل هشتوكة وجزولة لما استقر البربر بالمغرب اهـ. وكانت مشهورة صدر الإسلام وبلغها الفاتح العظيم عقبة بن نافع الفرى سنة ٦٢هـ - ولعلها اندثرت فاختمها ثانياً السلطان محمد الشيخ المهدي، فقد ذكر الإمام أبو زيد عبد الرحمن التمرتى فى كتاب الفوائد الجمة فى إسناد علوم الأمة - إن السلطان المذكور اختط مدينة تارودانت وأذن الناس عامة فى إحيائها والغرس فيها قصداً لعمارتها ورغبة فى استيطانها تحريضاً لهم على الاهتمام بحفظ ذريتهم، وهذا مثل ما صنع الإمام إدريس عند تخطيطه مدينة فاس، وهو أن كل من بنى موضعاً أو غرسه فهو له اهـ - ثم نقل كتاباً للسلطان زيدان مصرحاً بذلك وموصياً لعامله عليها القائد جرمان بأهلها خيراً قائلاً: وإنا نوصيكم خيراً بأهل حضرتنا المحمدية حرسها الله

فإنهم ممن يدلى بالخدمة والسبقية والشفوق على غريهم من أهل حواضرنا وحسبهم كونهم سكان حضرة قد اختطها مولانا الجد المهدي قدسه الله، وذلك بأن تسلكوا معهم المسلك الحسن في مرتفقاتهم من المزدروعات والجنات وجلاب الأرزاق للحاضرة، بحيث لا تمتد إليهم يد بظلم أو يتطرق إليهم الحيف بوجه ولا بحال، وأجرينا أهل تلك الحاضرة مجرى أهل مراکش وفاس في موارثهم وحقوقهم الشرعية ولا يجعل السبيل لأهل الشرطة أن يمدوا أيديهم لملك من غاب عن الحاضرة أو قبض الجالبين الأرزاق، فذلك ذريعة للتنفير وقطع المنافع المجتلبة للحاضرة، ولا تؤاخذوا البراء بذنوب الجناة كل نفس بما كسبت رهينة، ونبالغ لكم في الإبصار على ارتكاب كل سبب يوجب الائتلاف ويزيح التنفير والاختلاف، ألا وهو الحق وأردعوا من يشتغل بالظلم، فإذ ذلك مما لا نرضاه ولا نقبله كمثّل فريضة خدمة السواقي التي يفرضها الحاكم ويجحف بالمساكين فيها، فلهذا كان ذلك في أيدي العدول الثقة دفعاً للحيف ورفقاً بالمساكين كساقية تارودانت فلا تحرقوا العادة الواصلة فيها للمساكين من عهد أوائلنا قدسهم الله ولا بد والسلام وكتب بأواخر شعبان سنة سبع عشرة بعد الألف.

وهي جامعة بين السهول الخصبة المزارع الكثيرة البساتين والفواكه وبين جبال الأطلس الشاهقة التي انبجست منها الأودية والعيون ومرت بتلك المزارع وأعظم نهر بها نهر السوس الكبير الذي يمر على مقربة منها فتسقى منه الأجنة والبساتين وعلى مقربة منها أيضاً معدن النحاس الشهير بجبل تيوت الذي من أجله اشتهرت بصناعة النحاس فتصنع منه الأواني اللطيفة والمواعين الظرفية وغيرها من آلات البيوت الى يقل نظيرها، كما توجد بها صناعة الحلوى

والتفنن فيه، وعلى الجملة فهي المدينة الغنية بمتوجاتها الوافرة وخيرات قطرها الوفور الحاصلات غير أنها ركدت حركاتها أخيراً عندما خيمت الأزمة على العالم فأثرت فيها تأثيراً محسوساً أكثر من غيرها - وبها عدة مساجد ومدرسة قديمة وأخرى حديثة حكومية - عدد نسمات أهلها ٩٤٧٦ أهلياً، ٤٥ أوريبياً.

عاصمة مراكش الشهيرة

موقعها في بسيط من الأرض صحراء بسفح الجبل الأطلس الذي يعدل مزاجها ويخفض من حرارتها الشديدة التي يبلغ ارتفاعها فوق ٤٠ درجة - تبعد عن المحيط الأطلنطيكي من طريق آسفى بنحو ١٥٥ كيلو متر.

هي المدينة الغنية عن التعريف بعظمتها التاريخية^(١) وآثارها الغالية الشهيرة بما حوته من حضارة وعلوم وفنون كانت مهد الحضارة وعاصمة الدولة اللمتونية والموحدية والسعدية وبعض ملوك العلوية.

وقد تسربت إليها الحضارة الأندلسية في الدولتين الأوليين حتى صارت مركز العلوم والفنون وأشرفت بأفقها شمس الحكمة والمعارف وشيدت بها المعاهد الدينية الكبرى والمدارس العلمية والمصانع والقصور والبساتين والرياض الأنيقة تتخللها المياه النيرة.

كان أول من اختطها يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة ٤٥٤ فاتخذها دار ملكه ثم سورها ولده أبو الحسن على سنة ٥٢٦ ولما جاءت الدولة الموحدية اتخذتها عاصمتها وصرفت إليها عنايتها وبالأخص واسطة عقدها السلطان

(١) وحسبك دليلاً على عظمتها أن اسمها صار في العصر الحاضر يطلق على المغرب الأقصى.

يعقوب المنصور فإنه مضرها وضخمها وشيد بها قصبته الشهيرة الذى فرغ منها سنة ٥٩٤ فشيّدت بها الدور والقصور بحاشيته فأتسعت عمارة مراكش وزخر عمرانها ونشطت العلوم والمعارف والصناعات وابتهجت بالتمدن العربى الأندلسى لكن لم تلبث أن هدأت تلك الحركة النشيطة بزوال الدولتين حين تحول كرسى الدولة المرينية إلى العاصمة الإدريسية فاس .

لما جاءت الدولة السعدية أعادت له رونقه ومسكت رمقه لأعلى نسبة الحالة السابقة فشيّدوا بها المعالم الدينية والعلمية والعمرانية وخصوصاً واسطة عقدهم أحمد المنصور فازدهرت به العلوم والمعارف والصنائع وشيد بها قصره البديع آية فى الإتقان والإبداع وعنواناً واضحاً على ما للعروبة فى الهندسة والفن لكن لم تهمله صروف الدهر وحوادثه فهذه السلطان المولى إسماعيل بين عشية أو ضحاها وهى حالة مؤسفة للغاية .

ولما مات أحمد المنصور واختل نظام سياسة أولاده انحطت حلل مراكش انحطاطاً بيئاً حتى جاء السلطان سيدى محمد بن عبد الله فنقل كرسى الملك لمراكش وشيد بها قصوره وبساتينه وأحيا به سبل المران ومعالم الدين والعلم ومكث عاصمة الدولة العلوية إلى عصرنا الحاضر حيث صارت العاصمة هى رباط الفح - ومن آثار الدولة الموحدية بها سالفاً دار الضيافة المعروفة بدار الكرامة التى يقول فيها الأديب محمد بن محمد البربرى من قصيدة امتدحهم بها :

خير قوم دعوا إلى خير دار هى للملك نضرة وكمامه
عالم السبعة الأقاليم فيها وهم فى فنائها كالقلامه

مساجدها الدينية

تبلغ مساجدها الآن ١٢٣ مسجداً أعظمها أربعة: مسجد الكتبيين - شيده السلطان عبد المؤمن عندما فتح مراکش كما فى الحلل وكان فتحه إياه سنة ٥٣٧ وله منارة عظيمة تناطح الجوزاء وتصافح القادمين على عدة أميال وتضىء على السائرين ليلاً بأكليل وهاج كان على رأسها ينبثق منه النور بواسطة أشعته الذهبية على تلك الأباطح والسهول الفسيحة والدور والقصور بيد أن ذلك الأكليل انكسف فى عصرنا هذا.

وهذا المنار العجيب من آثار السلطان يعقوب المنصور وكان الفراغ منه سنة ٥٩٤ كما فى القرطاس .

وقال القلقشندى فى صبح الأعشى أنه كان بباب هذا المسجد أى على عهد الدولة الموحدية - ساعة مرتفعة فى الهواء خمسين ذراعاً يرمى فيها عند انقضاء كل صنجة زنتها مائة درم تتحرك لنزولها أجراس تسمع على بعد تسمى عندهم بالنحاتة اهـ، ولم يبق لها أثر الآن .

مسجد القصبة - شيده يعقوب المنصور مع القصبة وأحدث به مقصورة عجيبة (المحل المعد لصلاة الخليفة حذاء المحراب) قد وضعت بحركات هندسية ترتفع لخروجه وتنخفض لدخوله وفيها يقول الكاتب الأديب أبو بكر بن مجير الفهرى يوم الفراغ منها:

طورا تكون بمن حوته محيطة
فكأنها سور من الأسوار
وتكون طورا عنهم مخبوة
فكأنها سر من الأسرار
وكأنما علمت مقادير الورى
فتصرفت لهم على مقدار

فإذا أحست بالإمام يزورها في قومه قامت إلى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده كستكون الهالات للأقمار
وقد ذكر الشهاب المقرئ في نفع الطيب أنه وقف عليها سنة عشرة
وآلف معطلة الحركة .

مسجد على بن يوسف اللمتوني - كان بناؤه إياه لما بنى سور مراكش
كما في الحلل الموسوية، وذكره قاضي آسفى العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد
العزیز الأندلسى فى كتابه - إرشاد السائل - ناقلاً عن المصمودى أنه لم يكن
فى المغرب الأقصى محراب اشتهر أن الفقهاء اجتمعوا على تصويب قبلته عند
بنيانه فيما علمنا إلا مسجد واحد وهو مسجد على بن يوسف بمراكش جمع
على بن يوسف على تصويب قبلته أربعين فقيهاً فيهم مالك بن وهيب وأبو
الوليد بن رشد صاحب البيان .

قال القاضى وقد صلينا فيه عام ١١٤٠ فاختبرته فعاننت فى محرابه
انحرافاً عن السميت وقد ذكر المغيلى أن قبلته حولت بعد ذلك عن البناء الذى
بناه على بن يوسف والله أعلم اهـ .

وقد صرح صاحب الحلل الموسوية بأن عبد المؤمن لما شرع فى بناء
مسجده هدم المسجد الذى كان بأسفل المدينة الذى بناه على بن يوسف اهـ،
فيكون قد جدد بعد ذلك .

وقد جرده أيضاً السلطان العادل أبو الربيع المولى سليمان العلوى صدر
القرن الثالث عشر للهجرة وبناه بناء ضخماً ونقض منارته وشيد أخرى بديعة
رحمه الله وهذا المسجد هو نظير كلية القرويين بفاس فى الدرجة الثانية منه به

تلقى الدروس العلمية إلا أنها لا تزال على غير نظام وفق الله أولى الأمر لذلك .

مسجد المواسين - أسسه السلطان الغالب عبد الله بن محمد الشيخ السعدى فى عقد السبعين بعد التسعمائة للهجرة .

مدارسها العلمية

يوجد بها الآ ستة مدارس أعظمها أعجبها مدرسة جامع على بن يوسف وهى من حسنات السلطان أبى الحسن المرىنى . وقد جددها السلطان الغالب السعدى وكتب اسمه على جدارها وهو تلييس وقلب للحقائق التاريخية من فاعله .

والباقى من المدارس إما متلاش أو خال مع أن لها أحباساً موفورة تقوم بأودها وبمؤنة أهل العلم المتغربين فى طلبه جزى الله أولئك السلف، أما الخلف فإنهم ضنوا بتلك الأموال وأودعوها دور الأبنك ومعالم الدين والعلم فى اضمحلال فلو لم يكن لها مال مرصود لكان من الواجب أن نقوم بحفظها من جيوبنا حفظاً لمعالم ديننا وبروراً بسلفنا نطلب الله أن يوفق أولى الأمر للالتفات إلى هذه الآثار النفيسة فيستدركوا ما بقى منها، وإلا فهى نقطة سوداء فى تاريخ القائمين بإدارة الأحباس والله الموفق للصواب .

المدارس العصرية

يوجد بها عدة مدارس على الطرز الحديث علمية وصناعية أحدثتها الحكومة .

كما توجد بها عدة مكاتب وطنية أهمها مكتب الفقيه العلامة الأديب
أبي الصفاء محمد المختار السوسى أحد أقطاب العلم والأدب والأفكار
السلمية المعتدلة .

اتخذ زاوية والده الشيخ الفقيه المرشد الحاج على السوسى رحمه الله
مكتباً تدرس فيه العلوم الإسلامية ورتب معه أساتذة يقوم كل واحد بقسط من
التعليم .

وليت أهل الزوايا اقتدوا به فإن العلم عند الصوفية هو أول قدم يضعه
المريد فى طريق سلوكه ويستتير به فى سيره، كما أن أخاه الفقيه الأديب السيد
إبراهيم كذلك اتخذ مكتباً سائراً فى طريق الرقى والنجاح بنظام كامل
الإنتاج، كما توجد مكاتب أخرى سائرة على هذا المنهج أنجح الله مسعى
الجميع .

المستشفيات المعبر عنها قديماً بالممارسات

كان السلطان يعقوب المنصور قد أسس به مستشفى من عجائب الدنيا
فى نظامه الراقى الدال على علو همة صاحبه وخدمته للإنسانية وهاءنى نترك
العلامة الشيخ عبد الواحد التميمى المراكشى يحدثنا عنه ويشنف أسماعنا بما
كان لسلفنا من حضارة راقية ومفاخر عالية .

قال فى كتابه المعجب: إن المنصور بنى مراكش بيمارستان (مستشفى) ما
أظن أن فى الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فى البلد
وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة

والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقراخ وأمر أن يخرس فيه من جميع الأشجار المشمومات وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك فى وسطه ثم أمر إليه بالفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحزير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف وأجرى له ثلاثين ديناراً فى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة، خارجاً عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه من الصيدلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فإذا نقه المريض، فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ربما يستقل بنفسه، وإن كان غنياً دفع إليه ماله ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت، وكان فى كل جمعة بعد الصلوات يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن أهل كل بيت كيف حالكم وكيف القومة عليكم إلى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج ولم يزل

مستمراً على ذلك أن مات رحمة الله اهـ

وكان بها المستشفى الذى شيده السلطان الغالب بالله السعدى فى عقد السبعين وتسعمائة وأرصد له أوقافاً عظيمة تقوم بأوده ورتب له الأطباء والصيدلة وجميع ما يحتاج إليه فأوصل به نفعاً جماً لبني الإنسان جزاء الله خيراً.

وفى العصر تأسست به مستشفيات عامة وخاصة على النمط الأمري.

القسم الأول فى تاريخ أسفى التأسيسى

أسفى واقع غربى المغرب الأقصى على شاطئ المحيط الأطلانطىكى، حيث الطول خمس درج وعشرون دقيقة والعرض اثنا وثلاثون درجًا وسبعة عشر دقيقة على ما حققه الآن صاحبنا الميقاتى النبيل الفقيه أبو عبد الله محمد ابن الطيب بن الكاهية الأسفى.

وهى مرسى مراكش أو حاضرة البحر المحيط كما يقول ابن خلدون تبعد عن مراكش بـ ١٥٥ كيلو متر، وعنهما يقول لسان الدين بن الخطيب السلمانى فى معيار الاختيار - رباط أسفى لطف خفى ووعد وفى ودين ظاهره مالكى وباطنه حنفى الدمثة والجمال والسذاجة والجلال قليلة الأحزان، صابرة على الاختزان وافية المكيال والميزان رافعة للداء بصحة الهواء بلد موصوف برفيع ثياب الصوب، وبه تربة الشيخ أبى محمد صالح وهو خاتمة المراحل لمسودات ذلك الساحل لكن ماؤه قليل وعزيزه لعادية من يواليه من الأعراب ذليل.

وقال عنه فى كتابه نفاضة الجراب فيمن جمعنى وإياه الآغتراب. وهذا البلد فسيح طيب الهواء كريم التربة خصيب الجنب وأهله أول خيرة وجنوح إلى الصلاح وهو لبنة التمام للمسورات بالمغرب (فى عصره) ليس وراءه مدينة جامعية ولا محلة مسورة ودونه أمم تتصل بالسوس الأقصى إلى تخوم الحبشة من وراء الصحراء اهـ.

وهى الآن تنقسم إلى قسمين الأول قسم المدينة وهى المسورة بالسور البرتغالى بين جانبى مسيل الماء الوارد من الناحية الهابط إلى البحر وهى بذلك معرضة لخطرین أحدهما: عبث شيول الأمطار فيها وطلما عبثت السيول بالأموال والأنفس.

وهذا قد أتقى باستعمال الوادى أمام باب الشعبة أحد أبوابها، حيث يمر ماء السيول شمال السور البرتغالى وينصب فى البحر وكان ابتداء العمل فيه سنة ١٣١٩، ثم أهمل ثم تجدد العمل فيه وتم سنة ١٣٤٧ فأمنت به المدينة من آفات مهلكة للأموال والنفوس، ثانيها: أنها بوجودها بالمسيل المذكور وجانباه مرتفعان عليها غير موافقة للحالة الصحية.

نعم قد خففت وطأة ذلك بفتح الأبواب والمنافذ وإجراء النظافة^(١).
الثانى الرباط وهو رباط الشيخ أبى محمد صالح الماجرى، وكان السور القديم يجمعهما والحادث البرتغالى أخرج الرباط.

وهذا القسم كان أهل العمارة وبالأخص فى عصر الشيخ أبى محمد وبعده حيث قصد من الأماكن البعيدة واستوطنه مالا يحصى من أهل العلم والصلاح والعبادة، زيادة على العدد الذى ينتابه للزيارة فقط، وقد مكث كذلك إلى أن احتله البرتغال فأنجلى عنه أهله، ثم لما رجعت البلاد للإسلام عادت عمارة الرباط لأعلى نسبة حالته السابقة، وقد كان به حوالى منتصف القرن الحادى عشر هجرىاً - ٧٠ داراً - وبعد سنة ١٢٠٠ - وقع إحصاء دوره رسمياً فبلغ عددهم ٥٧ داراً.

وفى العصر الحديث لما كثر العمران اتسعت عمارة أسفى وامتدت البناءات بجميع جهاته وخصوصاً ثلاث جهات: أحدها - جنوب رباط أسفى مع البحر وزاد أهمية لهذه الناحية مباشرة الحكومة لأحداث محطة السكة الحديدية للقطار.

(١) والموجب لهذين الخطرين هو تسوير البرتغال لها فى ذلك المسيل وإلا فقد كانت قبل استيلائه مرتفعة عن المسيل.

ثانيها - قبة المدينة فى بسيط اختطت فيه الحكومة مدينة أطلقت عليها المدينة الجديدة وبالفعل بنيت بها دور معتبرة على الطرز الحديث وغالب سكانها الأورباويون .

ثالثها - شمال آسفى بحومة دعيت بياضة امتدت فيها البناءات حتى صارت كالبلد الصغير .

وقد أفاد الحسن بن الوزان أنه كان بآسفى حوالى القرن التاسع الهجرى نحو مائة عائلة من أن اليهود وأربعة آلاف كانوا من المسلمين اهـ .

هذا فى إبان احتلال العمران بها، حيث كانت ترزخ تحت عوامل الدمار - يجذب البرتغال إياها من جهة والسلطان الوطاسى من جهة ورؤسائها المستبدين بها من جهة أخرى يرهقونها ظلماً وجوراً، وإلا فقد كانت عمارتها أوفر وعدد أهلها أكثر الشىء الذى دعا ابن خلدون لأن يعبر عنها بحاضرة البحر المحيط .

أما فى عصرنا فقد أخبرنى أحد المباشرين لجباية الضرائب سنة ١٣٥١هـ أنه يوجد بها نحو مائة وخمسة آلاف رسم ما بين دار وحنوت وغيرها ممن تؤدى الضريبة .

عدد نسمات أهله على إحصاء سنة ١٣٤٩هـ موافق ١٩٣١م - المسلمون ٢١٢٥٣، اليهود ٣٢٨٥، الأورباويون ١٥٨٥ .

هواؤها

آسفى طيبة الهواء معتدلة المناخ وربما ارتفعت الحرارة فيها إلى نحو ٤٠ درجة لكنها لا تدوم أكثر من أربعة أيام ونحوها وما سوى ذلك، هى معتدلة

مع ميل ما إلى البرودة وإلى ذلك يشير ابن الخطيب أن هواؤها أطيّب أهوية
البلدان يستدعى الدثار فى القيظ لبرده وطيّب مثواه اهـ.

ضبط لفظ آسفى

يقول الشريف الإدريسى فى نزه المشتاق: آسفى بالمد والسين المهملة
مفتوحة وفاء مكسورة، وقال ياقوت فى معجم البلدان: آسفى بفتحتين وكسر
الفاء بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب اهـ.

وقال محمد أمين فى منجم العمران وجدت فى تقديم البلدان لأبى
الفداء وقد ضبطها عن ابن سعيد بفتح الهمزة وكسر الفاء آخرها ياء مثناة من
تحت اهـ.

وقال مجد الدين الفيروزأبادى فى القاموس: آسفى بفتحتين بلدة بأقصى
المغرب اهـ.

وقد فهمه الشيخ مرتضى على أن المراد بالفتحتين فتحتا السين والفاء
فانتقده عليه قائلاً هكذا فى سائر النسخ بفتحتين والصواب فى ضبطه بكسر
الفاء كما فى المعجم لياقوت اهـ.

وفهمه الشيخ نصر الهورينى على أنهما فتحتا الألف والسين، فقال على
قوله بفتحتين أى مع كسر الفاء اهـ. وكتب على الأخير صاحبنا اعلامة السيد
المدنى بن الحسن زاد الله فى معناه: أنه المتبادر ابتداء وتعرف الحقيقة بتبادرها
اهـ.

فحصل أنها تارة تكون مهموزة وتارة ممدودة وكلاهما قد قيل به
واستعمل.

وجه تسمية المدينة باسفى

قال الشريف الإدريسي فى نزهة المشتاق طبع ليدن وأبو الثناء محمود الصفاقسى فى كتاب نزهة الأنظار فى علم التاريخ والأخبار: أن من مدينة لشبونة (عاصمة البرتغال الآن) من غربى الأندلس كان خروج المغرورين فى ركوب بحر الظلمات وذلك أنه إذا اجتمع ثمانية نفر كلهم أبناء عم وأنشأوا مركباً وأدخلوا فيه الزاد والماء ما يكفيهم شهوراً، ثم أنزلوا البحر فى أول طاروس الريح الشرقية فجرؤا بهذا الريح اثنى عشر يوماً فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروايح كثير التروش قليل الضوء فأيقنوا بالتلف فردوا قلاعهم وجروا فى البحر فى ناحية الجنوب اثنى عشر يوماً فخرجوا إلى جزيرة الغنم^(١) فوجدوا فيها من الغنم ما لا يأخذه عد وهى سارحة لا ناظر لها ولا

(١) جزيرة الغنم هى إحدى جزر الأنتيل على ضفاف القارة الأمريكية والملك الذى ردهم بعدما سألهم هو ملك تلك الجزر - وهذه المرة الأولى التى حاول المسلمون المغاربة اكتشاف القارة الأمريكية، والمرة الثانية أواخر القرن السابع الهجرى، فقد ذكر ابن فضل الله العمرى فى مسالكة نقلاً عن والى مصر ابن أمير حاجب أن منسا بن موسى سلطان التكرور من السودان المغربى لما حج سنة ٧٢٤هـ سأل والى مصر عن انتقال الملك إليه، فقال إن الذى كان قبلى كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئس من سفنه وشحنها بالرجال والأرواد التى تكفيهم سنين وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أروادهم فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة وحضر مقدمها فساله عن أمرهم، فقال سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة وأدله جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفيتى فلم يصدقه فجهزوا ألفى سفينة ألفاً للرجال وألفاً للأرواد واستخلفنى وسار بنفسه فكان آخر العهد به ومن معه اهـ.

وهكذا ذهب هذا الملك ومن معه ضحية محاولة اكتشافهم ما وراء المحيط وهم وإن لم يفلحوا فى اكتشاف القارة الأمريكية فقد دل صنعهم على ما كان لهم من عظمة فى =

راعى فنزلوا الجزيرة فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين فأخذوا من تلك الغنم فوجدوها مرة لا يقدر أحدٌ على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك، فأخذوا وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ساحل البحر فأنزلوا بها فى دار فرأوا بها رجالاً شقراً زعراً وهم طوال القدود ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا منه فى بيت ثلاثة أيام، ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى فسألهم عن حالهم، وفيما جاءوا وأين بلدهم، فأخبروه

=الأعمال البحرية وما لهم من همم عوال ونفوس تواقه للمعالى والتضحية فى سبيلها بكل عزيز غال.

نعم إن المسلمين المغاربة لم تذهب كل محاولاتهم سدى فقد اكتشفوا من جزر المحيط جزيرة تاريف التى سموها الخيزران بالقرب من القارة الأمريكية - واكتشفوا غيرها - منافسة لإخوانهم الشرقيين الذين تغلغلوا فى المحيط الهندى واستعملوا سواحل شرق أفريقية والهند وشبه جزيرة مالقة وإندونيسيا وجزر بحر الصين - فهم القدوة لغيرهم من الأمم الراقية.

وقد اكتشف فى العصر الحاضر قبيلة مكسيكية فى إحدى مقاطعات المكسيك بمنطقة ايسولتان تحافظ على تقاليدها العربية وتتكلم باللسان العربى ولا تختلط بمن حولها من الأقوام تسكن هناك منذ أربعمئة سنة - ونشرت جريدة الأهرام المصرية خبرها نقلاً عن جريدة الهدى الأمريكية عن طائفة من تجار الأتراك فى تجوالهم هناك وعلق الكتاب على هذا النبأ، باحتمال أن يكونوا من سلالة أحد أولئك العرب الذين خرجوا من لشبونة إذ لعل أحدهم بقى هناك، ثم بعد ذلك هاجر إلى مكسيكا الت تقع تجاه تلك الجزر غرباً لا يفصلها عنها غير الخليج المعروف بخليج مكسيكا - والذى يظهر لى وهو أولى أن يكونوا من هذه البعثة التى لم ترجع بالمرّة فلعل البعض منهم أوكلمهم نجوا فاستوطنوا تلك البلاد والله أعلم.

بحقيقة الحال فوعدهم خيراً وأعلمهم أنه ترجمان الملك فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك فسألهم عما سألهم عنه ترجمانه فأخبروه بما أحبوا به الترجمان به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من العجائب ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك بذلك ضحك وقال للترجمان أخبر القوم إن أبى أمر قومًا من عبيده بركوب هذا البحر، وأنهم ساروا فى عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوؤ وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة، ثم أمر الترجمان أن يعدهم خيراً ففعل ثم صرفوا إلى مكانهم الأؤل وما زالوا به حتى خرجت الريح الغربية فأنزلوا فى زورق وعصبت أعينهم وسير بهم فى البحر مدة من الزمان . قال القوم قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جىء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضحى النهار وطلعت الشمس ونحن فى ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحبنا بأجمعنا فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحالة السيئة فحلونا من وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا وكانوا بربراً، فقال لنا أحدهم هل تعلمون كم بينكم وبين بلدكم، فقلنا لا، فقال: إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين^(١) فقال زعيم القوم وأسفى فسمى المكان إلى اليوم أسفى وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب اهـ.

وهذه القضية مرسل من غير تاريخ إلا أنه حيث كان الناس عرباً واللفظ عربياً، فإن استيلاء العرب لى لشبونة لأول الفتح الإسلامى للأندلس كان سنة

(١) هذا من قائله خطأ أو كذب لأنه لا يوجد بين أسفى ولشبونة هذا القدر ولا نصفه، وأما القوم فلا عهدة عليهم لأنهم صرحوا بعدم علمهم، ولأن الحالة التى هم عليها تذهب بمعلوماتهم وتتركهم أسرى فى يد الغير.

٩٢هـ وتخليهم عنها سنة ٤٨٩هـ فيكون خروجهم لاكتشاف ما وراء المحيط متراوحاً بين هذه القرون الأربعة.

وينبنى على ذلك حيث كانت آسفى أقدم من هذا التاريخ بكثير أن يكون هذا الاسم جديداً لها ولها اسم آخر قديم - لكن يشكل عليه أن كل من ذكرها من المؤرخين والجغرافيين لم يذكروها إلا مقرونة بهذا الاسم.

والحقيقة أن كل من ذكر تاريخ بلد باسم جديد يكون من أهم أمره أن يذكر اسمه القديم - والحال أنهم لم يذكروه، ويمكن الجواب بأنهم ما كتبوا الجديد إلا بعد مرور أزمئة انتسخ خلالها الاسم القديم ولم يبق معلوماً.

أجل لقد ذكرها بطليموس القلوزى فى كتاب الجغرافية له باسم آخر يقرب من هذا فى اللوح الأول للقسم الثانى من أقسام المعمورة وهو (تانسفة) وقد كان بطليموس قبل الميلاد المسيحى بنحو ١٤٠ سنة وكتابه هذا يعد الأصل الأول للجغرافيين، إلا أنه لطول العهد ومرور الأزمنة قد تغيرت كثير من أسماء البلدان المذكورة فيه بل واندرست المسميات.

ويمكن وهو الظاهر أن يكون اللفظ بربرياً مأخوذاً من قول البربر للضوء أسفو بضم الفاء فحرف فى الاستعمال إلى الكسر على أن البعض من البربر ينطقون به مكسوراً.

وقد كان الناس قبل الإسلام وبعده يشيدون المنائر على الشواطئ حفظاً لها من الهجوم ويرتبون بها حراساً فإذا ظهرت لهم قطعة فى البحر يشعلون الأضواء فى تلك المنائر إعلماً بالهجوم والاستعداد له فكانت بمنزلة التليفون فى العصر الحاضر.

وتكون المناثر أيضاً لاهتداء السفن عليها فى سيرها فىمكن أن يكون بهذا البلد بعض هذه المناثر فسمى البلد به لأنه فى القديم كان خالصاً للبربر والله أعلم.

آسفى وأطوار تأسيسه قبل الإسلام وبعده

لم نطلع على أول من اختطه لطول قدمه لغاية ينقطع دونها العلم على التعيين بمن أسسه أولاً.

ولعراقته فى القوم اختلف الناس فى شأنه فمن الناس من قال أنها مدينة بربرية أسسها البربر القدماء ومنهم من قال أنها مدينة فينيقية أسسوها قبل الميلاد المسيحى بنحو عشرة قرون.

وها أنا ذا أسوق كلام الفريقين.

قال الحسن بن الوزان الغرناطى فى جغرافيته: آسفى مدينة على شاطئ المحيط بناها الأفارقة الأقدمون اهـ.

وقال أبو القاسم الزيانى فى الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برأ وبحراً أنه لما استقر البربر بالمغرب بنى أمراء صنهاجة مدينة طيط وآزمور وآسفى اهـ.

واستقرار البربر بالمغرب يقول عنه العلامة ابن خلدون أنه كان منذ أحقاب متطاولة لا يعلم قدرها إلا الله.

ويقول غيره أنهم استقروا به لما قتل داود جالوت فخرجوا من فلسطين إلى المغرب.

ولا يخفى ما فيه لأن المغرب معمور بهذا الأمة قبل ذلك بأزمة متطاولة إلا أنه لا مانع من أن يكون دخولهم تدريجاً بحسب الحوادث فيكون داود أجلى بعضهم فنزلوا على إخوانهم القدماء .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى فى الروض المعطار والإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى فى مغانى الوفاء: قال أهل الأثر أن الشيطان كان نزع بين بنى سام وبين بنى حام، فووقت بينهم حروب ومناوشات كانت الدائرة فيها على جام وبنيه، فخرج حام إلى ناحية مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى انتهى إلى السوس إلى موضع يعرف بأسفى وهو آخر مرسى تبلغه المراكب من البحر الأندلسى (يعنى فى ذلك العصر أما اليوم وقبله فإنها تتجاوزه) إلى ناحية القبلة وخرج بنوع فى طلبه فكل طائفة من ولده بلغ موضعاً وانقطع عنهم خبره، أقاموا فيه وتناسلوا ووصلت إليهم طائفة أقاموا وتناسلوا هناك، فكان عمر حام ٤٤١ سنة وقيل ٧٧١ سنة، ولما مات دفنوه فى صخرة منقورة فى جبل أصيلا اهـ.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب القصد والأمم - فى أنساب العرب والعجم: قال على بن كيسان النسابة وغيره من أهل العلم بأيام الناس وأنسابهم - كانت بين بنى حام من الحروب والمناوشات ضروب كان آخر أمر حام أن هرب إلى ناحية أرض مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى أفضى إلى السوس الأقصى، وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب البحر من الأندلس وغيره، فلما بلغ حام هنالك أقام فيما اختار من تلك البلاد إلى أن مات اهـ - ونحوه لابن خلدون عن الصولى - ولصاحب الجمان فى أخبار الزمان .

وقال الكاتب المؤرخ أبو زكريا يحيى بن خلدون (أخو صاحب العبر) في كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد: لما تعرض لنسب البربر - نقلاً عن البكري أن حاماً لما أسود من دعوة أبيه عليه فر حياء من رهطه واستقر بثغر آسفى من المغرب الأقصى ومات به عن ٤٠٠ سنة وقيل ٧٧١ سنة وقبره الآن هناك بأسفى اهـ.

ويتنقد هذا بأن غير واحد من نقاد الأئمة أنكروا الآثار الواردة فى دعوة نوح عليه السام على ابنه حام وبأنه من أجلها اسود فاسود بنوه .
ومن فوق لذلك سهمه الصائب الفيلسوف ابن خلدون وجعله فى مقدمة تاريخه من أوهام النساين وأغلاطهم .

ويمكن الجواب عن هذا النقد بأن المنكر هو نسبة السود للسودان بسبب الدعوة - وهذا ابن خلدون نفسه يعرب عن ذلك فإنه لما زيف تسبة السواد للسودان من أجل الدعوة - قال: ودعاء نوح على ابنه وقع فى التورية وليس فيه ذكر للسواد اهـ.

على أنه من الممكن أيضاً أن تكون الدعوة وطبيعة البلاد أدتا لاسودادهم ولا ينكر تعدد الأسباب لمسبب واحد، أو يكون سكانهم بالبلاد الحارة التى غيرت ألوانهم من آثار استجابة الله لتنبئه فى حق من نسبه لحام .

وعلى فرض بطلان الدعوة فإنه لا يلزم من بطلان السبب بطلان المسبب كما لا ينكر تعدد سبب وروده المغرب لما علم أن المسبب الواحد قد تكون له أسباب .

ومما يدل للفريق الثانى من أنها مدينة فينيقية - ما أخبرنى به صاحبنا الفقيه الكاتب المؤرخ المطلع أبو عبد الله السيد محمد بن على الدكالى

السلامة من أن أسفى مذكرة فى كتاب تريخ تيسوا الفرنساوى الذى ترجم فيه الدرر اليونانى المشتمل على أسماء المدن التى أسسها حنون القرطاجنى على شطوط البحر المتوسط والمحيط - من تونس إلى ماسة وأن أسفى من مؤسسات حنون الذى ورد على المغرب بأسطوله الستينى قبل المسيح بنحو ١٥ مائة سنة فتعاهد المدن التى كانت للفينيقيين بهذه الشطوط فجدد بعضها وأسس أخرى وكانت أسفى فى عهدهم ذات عمارة تأتيها سفنهم التجارية وغيرها.

وقد كتب إلى الأديب البحاثة النابغة أبو عبد الله محمد المهدي بن العلامة وزير المعارف السيد محمد الحجوى حفظهما الله بحثًا مدققًا يقول فيه: مدينة أسفى من أقدم مدن المغرب، وقد اختلف فى عهد تأسيسها فمن قائل أنها حلقة من سلسلة المستعمرات الفينيقية التى كانت على شاطئ المحيط، ومن قائل أنها مدينة بربرية الأصل ولم يدخلها استعمار الفينيقيين ولا الرومانيين، ومنهم من ظن أنها كانت تحت السلطة الرومانية وكانت قبلها موجودة، وعندى أنها قديمة من عهد الاستعمار الفينيقى ويغلب على الظن أنها من مؤسسات البحارة القرطاجنى الفينيقى حنون إن لم تكن قد سبقت هذا العهد وأسسها الفينيقيون قبل تأسيس قرطاجنة حنون هذا قد سيرته مملكة قرطاجنة عد استفحال أمرها إلى الشواطئ الغربية من أفريقيا على طريق البحر للاستطلاع وتأسيس المستعمرات فأسس مستعمرات على شاطئ أفريقيا الغربى.

ومن الجائز أن أسفى هذا العهد لأن الفينيقيين قد ظهروا فى شواطئ المحيط المغربية منذ نحو القرن - ١٢ - قبل الميلاد وأسسوا مستعمرات عديدة،

ولم تعرف إلا بآثارها الباقية والمذكورة عند الفاتحين بعدهم لأنهم كانوا يكتمون أمر فتوحاتهم خوف المزاخمة وما كان عندهم مؤلفاً محفوظاً بعاصمتهم الأخيرة قرطاجنة بدده الرومان عند دخولهم إليها وما بقى إلا تقرير رحلة حنون كان منقوشاً على هيكل بالعاصمة المذكورة ورآه أحد الرحالين اليونانيين عند مروره بها قبل خرابها ونقله إلى لغته .

وقد ذكر (بلين) المؤرخ الروماني أن هذه الرحلة كانت أواخر القرن الخامس قبل الميلاد - قال فيها حنون - وبعد ما اجتزنا أعمدة هركيل (البوغاز) وذهبنا في البحر مدة يومين أسسنا مدينة سمينها (ثيماتريا) تشرف على سهل متسع ثم بلغنا إلى رأس صوليس فوجدناه مكسواً بالأشجار وبنينا فيه معبداً للآله (بوزيدون) (إله البحر) ومن هناك سرنا نحو نصف يوم مائلين إلى جهة المشرق، وبلغنا إلى بحيرة مكسوة بقصب كثيف ترعى حوله فيلة كثيرة وحيوانات أخرى وبعد مسيرة يوم من هذه البحيرة أسسنا مدينة كركون طيكوس .

أما رأس صوليس فقد كان المؤرخون الأثريون يتفقون على أنه رأس ككتان شمال آسفى .

وقال بعض كبار المؤرخين قد ضاع أكثر المستعمرات الخمس التي أسسها حنون بين رأس ككتان ووادي درعة، الأولى على مسيرة يوم ونصف من رأس ككتان بسير حنون .

ويغلب على الظن أن إحدى هذه المستعمرات كانت في موضع آسفى .

وقد وجدت بعض نقود رومانية في هذه المدينة وذلك إنما هو دليل على وجودها وعمارتها على ذلك العهد، ولم يذكر أحد من المؤرخين الأقدمين أن

الرومان تعدوا مدينة سلا القديمة أو مركز الدفاع عنها الذي كان يسمى (وادمير كريوس) على البحر المحيط جنوب سلا. قال بلين: وبين هذا المركز وبين سلا ١٦ ميلاً، أى ٢٣ كيلو متر، وقد عثر بعضهم على أحجار مكتوبة بالرومانية بأسفى وظن أن ذلك يدل على بلوغ نفوذ الرومان إليها فحلل كلامه بعض الأثريين فى مجلة أفريقيا ورده وانفصل على أن ذلك لا يفيد ما قصده الباحث الأول.

وقد انفصل فرنسوا يرجى فى مجلة الشمال والجنوب على أن هذه المدينة فينيقية سبقت قرطاجنة ورحلة حنون بل إن حنوفاً تزود منها لما بلغها فى رحلته وسماها الفينيقيون بهذا الاسم الذى هو أعظم معبد يبلدهم تبركاً به.

أسفى فى الإسلام

لما أطل فجر الإسلام على المغرب كانت أسفى من ثغوره المعمورة فقد جاء فى نزهة الأنظار فى علم التاريخ والأخبار - رحلة الوريثلانى - وكتاب الجمان فى أخبار الزمان للشطبيى، ونقله صاحب الاستقصا أن عقبة بن نافع الفهرى لما دخل المغرب الأقصى فاتحاً سنة ٦٢ للهجرة بلغ أسفى.

أسفى وتخریب البرغواطيين

رأيت بخط صاحبنا مؤرخ العدوتين ابن عبد الله محمد بن على الدكالى السلاوى حفظه الله: إن عمارة ذلك الثغر يعنى أسفى كانت معروفة من عهد

الفتح الإسلامي، ولما طرأت الطائفة الضالة البرغواطية على النواحي الحوزية وكان رئيسها صالح بن طريف اليهودي الأصل كان من الفساد الذي طرأ على المغرب على أيديهم أن خربوا ثلاثمائة مدينة من مدنه من جملتها ثغر آسفى، وذلك فى المائة الثالثة من الهجرة، ثم أدال الله الدولة للإسلام، واستخلصوا ما كان بأيديهم على يد ملوك مغراوة وملتونة وذلك صدر المائة الخامسة من الهجرة فرجع الثغر إلى حوزة الإسلام اهـ.

آسفى والمرابطين اللمتونيين

استرجع المرابطون آسفى واستخلصوه من البراغواطين فعمروه وانتعشت به العمارة شيئاً فشيئاً حتى أنه كان لا تقام به جمعة ولا سور له فى دولتهم.

آسفى والموحدين

لما جاءت الدولة الموحدية وكان عنفوان حضارتها وسطوتها فى النصف الأخير من القرن السادس الهجرى التفت إليها ملوكها وسورها بسور واسع، وهو الذى فى غالب ظنى توجد آثاره بأطراف البلد يبتدىء جنوباً من وسط تراب الصينى من رنقة القنيطرة، وعليه أساس الدار التى تحت عدد ١٩، ويمر شمال المستشفى الأهلى، ثم يمر أمام رحي الريح الأثرية وعليه أساس الجدار القبلى من أوتيل كمبانية باكيت ثم أمام القصبه العليا ثم وسط بياضة شمالاً من آسفى حتى يبلغ البحر فى سمت قبة الولى سيدى أبيه من الشمال.

ويغلب على الظن أن الذى سوره من هذه الدولة هو السلطان يعقوب

المنصور لأنه أغناهم بتخليد الآثار وتحصين البلاد، حيث إنه وجد الدولة ممهدة والأموال موفرة فشيّد لأثار وحصن الثغور، أما من قبله فكانوا ممهدين أكثر منهم معمرين، وأما من بعده فكانوا في تقهقر وانحطاط غالباً.

أسفى والمرينيين

فى الدولة المرينية اتسعت عمارة أسفى ونضجت به الحضارة وشيدت به المدرسة العلمية والمارستان (المستشفى) وغير ذلك من لوازم التمدن الشئى الذى سوغ لابن خلدون أن يطلق عليها أواسط القرن الثامن حاضرة البحر المحيط، وناهيك بها من مثله فهى دالة على أنها بلغت مبلغاً عظيماً فى اتساع العمارة التفوق فى الحضارة.

أسفى والبرتغاليين

فى القرن التاسع الهجرى أواخر دلة بنى مرين وأوائل دولة الطاسيين تأخرت حالة المغرب وانحطت انحطاطاً بيناً من جميع مناحى الحياة وبالأخص فى دولة الوطاسيين وزرائهم بلغ المغرب غاية التمدنى والتضعضع فتلونت له النوائب وتعددت عليه النكبات ذلك كله سوغ للبرتغال ولوج أبواب المغرب والاستيلاء على جل شواطئه.

فى ذلك الأوان المنحط كانت أسفى ترزح تحت عوامل التخريب والموت المعنوى. ذلك من تنازع السلطات عليها.

سلطة رؤساء أحزابها الذين اقتطعوها عن حكومة الوطاسيين ثم لم

يقدروا على إدارة سياستها وإخضاع من بها، وسلطة الوطاسيين الضعيفة، وسلطة البرتغال المتسربة بواسطة الدسائس لرؤساء الأحزاب فلم يسع آسفى إلا أن تسقط تحت البرتغال شهيدة بيد رؤساء أحزابها سنة ٩١٠ - أو سنة ٩١٢ بعد حروب شديدة.

أولئك الرؤساء الذين لم يحفظوا الهاذمة ولم يراعوا لها حرمة وطالما شقيت البلاد والأمم برؤسائها الذين غايتهم إرضاء شهواتهم وملء جيوبهم، أو انتصارهم على أندادهم فى منازعات شخصية أو نيلهم شبه جاه ونفوذ هذا منتهى أمانى الخائنين ولكنه غير مبرر لما ارتكبه من خيانة الأمة وشقاء للبلاد والعباد.

ذلك أن البرتغاليين لما بسطوا نفوذهم على آسفى عاملوها أوأ معاملة وأذاقوا من بها ألوان النكال والعذاب مما يخجل منه جبين الإنسانية، حيث إنهم عمدوا إلى المعاهد الدينية والعلمية وبالغوا فى إهانتها منه ما نقضوه حجراً حجراً ومنها ما جعلوه محلاً للقاذورات كالمسجد الكبير وعبثوا بالمحارم واستحلوا التجارة فى الأحرار فكانوا يبيعونهم جهاراً وسفكوا الدماء ونهبوا المال وخرّبوا الدور.

ولما كان السور القديم لاتساعه وقدمه ومعرفة المسلمين بمواقع الغرة منه، إذ كانوا يفتحون الترع منه ويهجمون على البرتغال، كان ذلك باعثاً للبرتغاليين على تسويره بهذا السور الموجود الذى يقدر بنحو ربع السور القديم أو خمسة.

حصنوا هذا القدر الصغير منه لأن هجوم المسلمين كان متوالياً عليهم وجعلوه فى مسيل الوادى إلى البحر، وكان قبل ذلك مرتفعاً عن المسيل فكان

وضعه بها من الهندسة الخرقاء ولكن العذر لهم أن المسلمين كانوا مضايقين لهم.

ويوجد على هذا السور البرتغالي نحو عشرين برجاً.

أهم الأبراج البرية: البرج الكبير بالقصبة العليا المعروفة بدار السلطان، و برج أشبار لارتفاعهما على طرفي المدينة من جهة البر.

وأهم الأبراج البحرية: البرج الجنوبي بالقصبة السفلى البرتغالية.

وهذه القصبة على شاطئ البحر مربعة الشكل على كل ربيع منها برج وفي وسطها عدة دور وخزائن وهي من أول ما بناه البرتغاليون كان البناء بها بصفة دار تحفظ بضائع تجارهم وتدرعوا لذلك بالتجنى على المسلمين بنهب تجارتهم وضياعها في بعض الفتن، فسمح لهم المسلمون وهم أهل لكل تسامح وتساهل فبنوا داراً بمرقع هذه القصبة وفي الواقع أنها دار حربية مهدوها لاحتلال آسفى وكذلك كان فإنهم لما أكملوها فتحوا لها باباً للبحر أنزلوا منه العسكر ليلاً، وأما الإسلام والأدوات الحربية فإنها نزلت من المرسى على يد الأمناء في براميل وصناديق بصفة بضائع من غير أن يتفطن لها الأمناء ولما استجمعوا قوتهم لم يشعر أهل آسفى إلا بجنود لبرتغال منقضة عليهم في قعر بيوتهم واضعة السيوف في رقابهم حتى ولجوا المساجد فاشتبكت المعارك والحروب أياماً وأخيراً استسلمت آسفى للسلطة البرتغالية.

ويقابل هذا البرج من الشمال برج السلوقية على البحر أيضاً غير أنه منفصل عنه، وكان يصله بالبحر سور وثيق يعرف عند الناس بالعراضة وكان منحدرًا. ولعمل البرتغاليين هدموه لأنهم لما أخلوها خربوها وأوقدوا فيها النار أو هدمه المسلمون، ثم زاد في علوه القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى نحو

الثلاثين سنة ١٢١١هـ ولما امتدت الإصلاحات فى العصر الحاضر هدم هذا السور الرابط للبرج بالبحر وآخر ما هدم منه سنة ٣٤٧ هـ.

ولم يكن لها فى العهد البرتغالى سور من جهة البحر غير هذين البرجين، ولما رجعت البلاد للمسلمين سوروه بسور وصلوا به ما بين البرجين وكان لهذا السور باب بحرى يقال له برج القبيبة، وكان بداخل هذا السور مما يلى القصبة البرتغالية عمارة مشتملة على دور وحوانيت واهرية من أهمها الدار التى كانت ملتصقة بالقصبة البرتغالية كان ينزلها الأمراء والقواد وأصحاب السلطان وغيرهم من ذوى الحشيات وكان حذاءها مسجد عرف بدار البحر كان معداً لصلاة الأمناء والخدمة بالمرسى وغيرهم من أهل هذه العمارة، ولما امتدت الإصلاحات الجديدة سنة ١٣٣٤هـ موافق سنة ١٩١٥م هدمت هذه العمارة والسور والبرج والمسجد.

ويلى القصبة البرتغالية من الجنوب برج قد كتب عليه تاريخ سنة ١٢٣٤هـ وذلك فى دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله.

ومن المحارس برج الرميلى على باب الشعبة ذكر لى بعض الفضلاء عمن حدثه أنه كانت به ساعة رملية عمومية قديماً، فسمى بذلك من أجلها. ويوجد عدة محارس أخرى من بناء أمراء المسلمين كبرج كدية العفو والصقالة وغيرها.

آسفى فى الدولة السعدية

استخلص الملوك السعديون آسفى من مخالبا البرتغال بعد حصار طويل وحروب عظيمة سنة ٩٤٨ - أو سنة ج ٩٤٧ - ولما أيقنوا بأنهم لا طاقة لهم

بالسعديين أخلوها وخربوها ودمروا ما بها من آثار وأوقدوا فيها النيران . ونقل صاحب الاستقصا عن بعض مؤرخى الإفرنج أنه مكث خالياً بعد انجلائهم عنه اثني عشر سنة . لكن إذا عرضت هذه المقالة على محك النقد والاختبار توجد لا تتركز على حقيقة لأن أهالى آسفى لا يزالون موجودين منتظرين لإخلاء بلادهم والسلطان محدم الشيخ السعدى كان ملحقاً على البرتغال بآسفى لأنه كان يريد أن يوسق السكر الذى شيد معاملته بشوشاوة وحاحه وهو مرسى عاصمته مراكش فكيف والحالة هذه يمكث آسفى خالياً هذه المدة الطويلة هذا مما تشهد قرائن الأحوال بغلط صاحبه .

وقد عمره السلطان محمد الشيخ المهدي ورد جالية أهله وأسس به القصبة العليا ومسجده الكبير وغير ذلك من لوازم العمارة واعتنى به هو وأولاده وحفدته وشحنوا أبراجه بالمدافع ورمموا الأسوار وبالجملة نهضوا من كبوة السقوط والخراب وصيرورة فى صف المدن والحواضر .

آسفى والدولة العلوية

استتعت عمارة آسفى فى الدولة العلوية خلد الله ملكها وتناولتها عدة إصلاحات وزيادات ، وشيدت به معاهد دينية وعلمية وعمرانية وخصوصاً صدر القرن الثالث عشر الهجرى فى رياسة القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى المتوفى سنة ١٢١٤ ، فإنه اعتنى به ناية كبرى من جميع مناحى حياته وخلد به الآثار الجميلة من مساجد وأبراج وأوقاف وغير ذلك .

آسفى فى العصر الحاضر

آسفى فى عصرنا قد امتدت عمارتها وتكاثرت بها الأبنية خصوصاً بثلاث جهات من جهة الجنوب، حيث محطة السكة الحديدية للقطار الذى سيكون قريباً بحول الله، ومن القبلة حيث رسمت المدينة الجديدة على الشكل الحديث ومن شمال آسفى بحومة بياضة واحرش النخلة ووادى الباشا، فقد تكاثر البناء بهذه الناحية وامتد إلى غاية بعيدة حتى صار كالبلد المستقل بأعلى ربوة طيبة الهواء منفصلاً عن المدينة القديمة. وعلى الجملة فآسفى اليوم أكثر عمارة من ذى قبل مع ما يلاحظ فى ذلك من اتخاذ الحدائق والأجنحة الخاصة والعامّة وإجراء المياه وفتح السكك والمنافذ فى الأماكن الضيقة.

على أن آسفى لم تكن خالية من الحدائق والأجنحة بل كانت بنواحيها عدة بساتين عامة وخاصة مغروسة بكثير من الفواكه والأشجار والثمار وخصوصاً هذه الجهة الشمالية، فقد كانت غنية ببساتينها وحدائقها، يعلم ذلك من طالع رسوم البيوع والأشربة فى القرن الثانى عشر الهجرى فما بعده، إلا أنه فى الأيام الأخيرة تناقص عمرانه حتى صار كأنه صحراء وذلك من قلة الماء والأمن والله الموفق.

مساجد آسفى

نبذة عن تاريخ الديانات

فى كتاب تاريخ الجزائر للأستاذ الشيخ مبارك الميلى أن الباحثين على الآثار بالمغرب أثبتوا لأهله ديانة. والديانات أصلها الوحى فلا بد أن تكون هذه الأمة أخذت أصول ديانتها عن رسول من الرسل، وقد قال تعالى: «وإن

من أمة إلا خلا فيها نذير» ثم دخلها التخريب والتبديد والغلو في تعظيم بعض المخلوقات حتى أمست وثنية ولا أظن أمة تنسأ على فطرتها تكون وثنية تعتقد النفع والأضرار الناشئين عن الاختيار في الشمس أو القمر أو أى مظهر آخر.

وإنما تخضع الأمم ذوات الفطر التي لا عهد لها بأى نزعة للدين الصحيح، فإذا ألفت الإذعان للدين وتمكن منها الإيمان بأشياء من المغيبات، ثم طرأ عليها الجهل ظهر فيها من الدجاجلة من لهم أغراض شخصية يعملون لتحصيلها باسم الدين.

والدين هداية عامة لا آلة يستخدمها أصحاب الغايات الذميمة لبلوغ غايتهم لا جرم اضطر كل دجال من البشر فى أى عصر إلى تحريف الدين بالغلو أحياناً والابتداع تارة، وإذ ذاك يغرس أشجار الوثنية فى تربة الجهل الثرية تسقيها تلك الأمة الجاهلة بخيالاتها وأوهامها حتى تعظم وتنتشر فتحجب شمس الدين الصحيح تغطى بدور العقول النيرة اهـ.

ديانة قدماء المغرب

كان للقدماء بالمغرب ديانة سماوية لك سقطت عليها أنقاض الجهل فحلت محلها وثنية مخلوطة بوثنية الفينيقيين.

كما كان به أيضاً النصرانية التى انتشرت على يد الرومان وبالأخص قسطنطين أحد ملوكهم فإنه حمل الناس عليها بالسيف، لكنها بالجنوب المغربى كانت قليلة؛ لأن نفوذ الرومان لم يتعد مدينة سلا أو مركز الدفاع عنها وهى

كانت تابعة لنفوذهم، وكانت الموسوية منتشرة على يد اليهود الذين كان لهم في القديم عدة هجرات للمغرب.

فإن قيل قد صح عن عالم كبير من علماء الجزائر وهو إسحاق بن عبد الملك الملشوني أنه قال لم يدخل إفريقية نبي قط وأول من دخلها بالإيمان حواري عيسى ابن مريم عليهما السلام اهـ.

الجواب أنه بعد كونها شهادة على نفى ويعارضها القرآن، فصاحبها رجل ضعيف فقد نقل ياقوت الحموي في معجمه ج ٨ ص ١٤٩ عن الإمام مؤرخ إفريقية ابن العرب أن حديث إسحاق يدل على ضعفه اهـ.

ومن أجل ذلك كله اسوجب خبره الطرح. وكثيراً ما اغتر به الناس وقلدوه في ذلك.

الديانة الإسلامية

انتشرت الديانة الإسلامية بالمغرب الأقصى على يد الفاتح عقبة بن نافع الفهري سنة ٦٢ من الهجرة، وقيل قبل ذلك على يد سبعة رجال من رجالة فأسس عقبة المعاهد الدينية كمسجد نفيس الذي لا يزال بعض أثره موجوداً بموضع مدينة نفيس ومسجد ماسة الشهير وغيرهما وقد ترك جماعة من أصحابه كشاكرا وغيره يعلمون الناس القرآن وشعائر الدين، ثم جاء بد ذلك موسى بن نصير فازدهرت الديانة في البربر وأسست المعاهد والمعابد وجلس الفقهاء من التابعين وأتباعهم لبث الدين بين البربر ففشيت الدانة بينهم فشواً عظيماً، ثم لما جاء المولى إدريس بن عبد الله الكامل وجال ببلاد المغرب

ودخل بلاد المصامدة وبلغ ماسة وغيرها، فاستنزل الوثنيين الباقين وغيرهم من المعازل والحصون حتى لم يبق إلا النزر اليسير من غير المتدينين بالإسلام ممن كانوا يؤدون الجزية عوض حفظهم في المال والعرض والدين حسبما تعطيه الديانة الإسلامية.

وكانت ديانة البرغواطيين الذين ادعوا النبوة بتامسنا لكنها كانت مجرد شعوذة على سبطاء الناس وبعد كونها كذلك، فإنها كانت مرتكزة على السيف وكان تظاهروهم بها في القرن الثالث الهجري واضمحلالهم بالمرّة صدر القرن الخامس وكان لملوك المسلمين ورجراجة معهم مواقف وحروب كانوا يتقوون مرة ويضعفون أخرى حتى اندثروا ولم يبق لديانتهم ولا لهم أثر بالمرّة.

ولم يكن للبربر ثورة على الدين الإسلامي منذ عقلوه وعرفوا مقاصده الحسنة وملائمته للعقول البشرية، وإنما كانت ثوراتهم أحياناً على بعض الولاة الغاشمين من العرب ما لا تخلو منه أمة من الأمم.

يوجد بأسفلى عدة مساجد إسلامية وكلها أسست في القرن العاشر الهجري فما بعده. أما المساجد السابقة عن هذا التاريخ فإنها لما استولت اليد الغاشمة من البرتغاليين على هذا البلد أذاقتها من الإهانة والتخريب ألواناً ولم تترك لأولئك البؤساء الذين كانوا تحت نفوذها مسجداً يؤدون فيه طقوس دينهم.

المسجد الجامع الكبير

أسس هذا المسجد بداخل المدينة أسفل من موقع المسجد القديم، وكان القديم مرتفعاً عن المسيل ومتصلاً بالمنار الموجود الآن الذي كان مناراً للقديم.

قال القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الأندلسى الأسفى: أن المسجد الذى كان المنار الموجود له قد اندرس باستيلاء البرتغال على المدينة، والمنار من المدينة القديمة بدليل فصله الآن عن المسجد بالديار والطريق، وقد سمعت هذا ممن تثق به أهـ.

قال القاضى فى كتابه إرشاد السائل إلى معرفة جهة القبلة بالدلائل أنه بنى بأثر خروج النصارى (البرتغال) من آسفى فلبنائها ما يقرب من مائتى سنة هـ^(١). وكان خروجهم منه سنة ٩٤٨. فيكون تأسيسه فى دولة السلطان محمد الشيخ المهدي فيظهر أنه من تأسيسه ولأنه الذى عمر آسفى.

وقد جدد بعد ذلك وخصوصاً فى دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله حسبما وقفت على كتاب له إلى أمناء آسفى مؤرخاً به وقعدة سنة ١١٨٨ وكان فراغهم من قبة المحراب فى ربيع الأول سنة ١١٨٩. وبذلك كله تعلم ما فى إطلاق أبى عبد الله اكنسوس وأبى العباس الناصرى كونه من آثار السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وإن وقع فى آخر كلام السيد الناصرى فى سياقه لآثار السلطان المذكور أن البعض من تجديده، والبعض من تأسيسه. فإنه لا يزال اللبس بين ما هو من تأسيسه وما هو من تجديده والعهد فى ذلك على الأول، ثم نقضت قبة المحراب فى دولة السلطان أبى الربيع المولى سليمان فى ٥ ربيع الثانى سنة ١٢١٨ - وشرع فى إعادتها يوم السبت فاتح جمادى الأولى من السنة المذكورة، ونقض كذلك المنبر وعوض بآخر، واقتطع الطرف الذى فى مؤخر المسجد وجعل مسجد النساء كل ذلك فى السنة المذكورة، ولم يزل الإصلاح متوالياً عليه إلى الآن.

(١) هذا الكتاب نحو الكراس ألفه جواباً لتلميذه الميقاتى الطيب بن عبد الله بن ساسى وكان الفراغ من النسخة التى عليها خط المؤلف صبحه يوم الجمعة ٢٤ شوال سنة ١١٤٢ هـ.

قبلته

قبلته منحرفة إلى وسط الجنوب انحرافاً كبيراً.

قال القاضى الفلكى أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الآسفى :

أما المسجد الجامع عندنا بأسفى فمحرابه منصوب إلى خط وسط الجنوب، فعلى القول بأن جهة القبلة ربع الدائرة وهو تسعون على الصحيح المعتمد فهو خارج عن الجهة بنحو خمسين درجة، فمن لم ينحرف به بطلت صلاته كما تبطل صلاة من استدبر القبلة، وعلى القول بأن جهة القبلة نصف الدائرة وهو ضعيف فهو داخل فى الجهة بنحو خمسة أدرج فمستقبل صوبه ٤٦ على هذا القول غير خارج عن الجهة. وعلى القول بمراعاة السميت فهو خارج عنه بنحو خمس وثمانين درجة، وإذا تأملت تربيع منار هذا المسجد وجدته أقرب قليلاً إلى استقبال جهة القبلة من تربيع الجامع.

والذى أوجب بناءه كذلك والله أعلم كون البلدة حين انتقل عنها الروم (البرتغال) ودخلها المسلمون قليلة العلم خالية من العلماء العارفين بدلائل القبلة.

حكم المسجد المنحرف

حكم الصلاة فى المسجد المنحرف عن وسط جهة القبلة أن ينحرف المصلى فيه إلى وسط الجهة إذا كان منصوباً إلى جهة من أجزاء ربع الدائرة التى هى جهة القبلة ولا يهدم ولا يغير، وإن كان انحرافه كثيراً بحيث خرج عن جميع الجهة وجب أن يهدم (أى محرابه).

ويرد إلى وسط الجهة وينقل محرابه فينصب إليها إن لم تخف الفتنة على هدمه ولم يمتنع هدمه لكثرة النفقة على هدمه وبنائه فإن كثرت وجب أن ينظر أهل العلم في تبديل محرابه ونقله وإن خيفت الفتنة صلى الناس وانحرفوا إلى وسط جهة القبلة وتكره الصلاة فيه إذا كان في البلد غيره منصوباً إلى القبلة.

وقال القاضى بعده وكثيراً ما أصلى فى غير هذا المسجد لكثرة انحرافه، ولولا خوف الفتنة وإنكار الجاهلين لكان الصواب أن يرد محرابه إلى القبلة الموائية لعين المشرق فإن من جعل جدارها الشرقى أمامه يكون مستقبلاً وسط المشرق قريباً من سمت القبلة جداً إذ سمت القبلة يكون عن يمينه إذ ذلك بنحو خمسة أدراج ولا يحتاج فى ذلك إلى كثير انحراف كما هو عليه الآن مع بقاء بناء المسجد على تربيعه واستقامة صفوفه ولا كبير نفقة فى ذلك اهـ.

وقد اعتاد الأسفيون الانحراف فيه مع تنبيه المقيم على ذلك كما هو الشأن فى القرويين بفاس لكن يبقى النظر فيمن لا معرفة له بانحرافه من الطارئين.

وفيه الاستمرار على عدم تسوية الصفوف وهو أمر جاءت الأحاديث متواترة بطلبه.

وفيه أيضاً صلاة الإمام حذاء الصف أو بعض الصف أمامه وكل ذلك مخالف للسنة النبوية ارتكبتها لناس طول هذه المدة ولو وفق الله أولى الأمر من النظار وغيرهم لحازوا تلك الحسنة كما أنه لو توفق الناس لطلب ذلك من أولى الأمر لكان الجواب مكللاً بالنجاح، ولكن ما أبعدنا من ذلك ونحن متشاكسون متخاذلون والله الموفق.

هل هذا هو العتيق

كثيراً ما راج هذا السؤال مع الاتفاق على أنه مسجد القصبه العليا لكنه لا تقام به جمعة فيبقى النظر بين المسجدين الكبير وأفنان المدعو الفوقانى .
والذى يظهر لى أن هذا الكبير هو العتيق بدليل ما رأيت فى تعريف غير واحد من فقهاء آسفى وعدوله - بخطابى القاضيين أبى عبد الله محمد بن عبد العزيز وأبى عبد الله بن دحمان - من وصفهما بخطيبى المسجد العتيق .
ومعلوم بحكم العادة المستمرة إلى الآن أن القاضى يتولى طابة المسجد الكبير هذا بل نص على هذه العادة وتقريرها الظهير السليمانى فى تولية الثانى .
ويؤيده ما رأيت به بخط القاضى بوخريص من وصفه مسجد أفنان بالجديد ورأيت وصفه بذلك فى بعض الوثائق القديمة فثبت بذلك وصف المسجد الفوقانى بالجديد، والجامع الكبير بالعتيق .

مسجد أفنان المدعو الفوقانى

هذا المسجد بداخل المدينة يضاف لأفنان وهو من أهل القرن الحادى عشر الهجرى ولست أدرى وجه إضافته إليه فهو إما لبنائه ياه أو لمجاورته أو لغير ذلك؛ لأن الإضافة تقع لأدنى ملابسة، والقديم منه هو النصف الموالى للمحراب، أما النصف الذى وراء الخصة والمقبو بالحجارة فهو من بناء القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى .

قبلته

قال القاضي أبو عبد الله في إرشاد السائل: أن المصلى فيه يحتاج إلى انحراف يسير إلى جهة المشرق لأن صوب محرابه قد انحرف قليلاً إلى جهة وسط الجنوب اهـ.

مسجد القصبة العليا

هذا المسجد بداخل المدينة بقصبتها العليا السلطانية: كان مهملاً في عصر القاضي أواسط القرن الثاني عشر، حيث قال كان هذا المسجد جامعاً ويذكر أنه العتيق وبه خطب الإمام أبو عبد الله بن مرزوق حين ورد على هذه البلدة جبر الله صدعها.

قال وصوب محرابه كصبوب محراب المسجد المتقدم اهـ، أى في كلامه وهو المسجد الكبير فيكون منحرفاً إلى جهة الجنوب. لكن اختبره صديقنا الميقاتى أبو عبد الله محمد بن الطيب بحضرتنا بيت الإبرة فإذا قبلته مستقيمة غير انحراف يسير لجهة الشمال فحدسنا أنه جدد بعد زمان القاضي وحول محرابه إلى جهة القبلة ثم ظفرت بما وقع الإشكال وهو كناش صائر الأحباس لسنة ١٢١٦ إلى سنة ١٢٢٠، فإذا هو فى صف المساجد العامرة بجميع لوازم المساجد من الإمام والخطيب والمؤذن والحزابين وغير ذلك، فعرف من ذلك أنه جدد وصوبت قبلته.

وذكر لى بعض المسنين أن الذى جده هو القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى، ويظهر ذلك من كون المسجد معداً لصلاة الأمراء والسلاطين الذين

ينزلون القصبة وبالضرورة يجدهه للأمير مولاي هشام أيام إمارته بالحوز ونزوله بالقصبة .

وكان على غاية بديعة من التزييق والنقش وظل إلى حوالى الثمانين من القرن الماضى مصوناً وعليه شبكة تمنع عبث الطيور بمحاسنه وعلى رغم ذلك فقد تسربت إليه يد الإهمال والإغفال شيئاً فشيئاً، حتى انمحت تلك المحاسن وانطمست تلك المعالم، وبلغ الحال ببعض ولاية السوء أن ربط به دوابه أحياناً وقد أدركنا سقفه ساقطاً وآثار الصنعة بارزة على حوائطه ومحراه .

وقد وفق الله إدارة الأحباس لإنقاذه من هوة التلاشى فشرعت فى إصلاحه وترميم جدرانه يوم الثلاثاء ٢٩ محرم سنة ١٣٤٧ فأعيد سقفه ورممت جدرانه وكان الفراغ منه يوم الاثنين ٢٢ من رمضان من السنة المذكورة وأقيمت فيه الصلوات الخمس بالإمام الراتب والمؤذن وغير ذلك أبد الله عمارته .

مسجد رباط آسفى

هذا المسجد مؤسس برباط آسفى خارج سور المدينة البرتغالى وكان أول من أسسه الشيخ أبو محمد صالح رضى الله عنه بمباشرة أصابه .

وقد وصف لسان الدين بن الخطيب هذا المسجد لما دخله سنة ٧٦١، فقال هو مبنى عتيق ومجمع فسيح متعدد الزيادات والصحون والتعاريج، سبق منه ما بين يدي المحراب بعض على أيدي قوم من الصالحين ورفعوا به عمداً تناهز الأربعين بادية ضخمة خشنة على سبيل من الجفا والسداجة يياشرها سقف لاطئ من غير نقش ولا أحكام عليها خشب بالية وقصب فخرة مما يدل

على قدم العهد وينبئ عن اجتناب فضول العمل ، فلم تمتد إليه يد التغيير ودارت به الزيادات النيبهة والبلاطات من جهاته وبصحن هذا المسجد جباب للماء ينتابها الناس لسقيهم ووضوئهم ويقابل القبلة من جوفى الصحن زاوية بها فقراء يدعون ذكر الله يتعاطون مقام التوكل فلا يغب عنهم التفقد اهـ..

وقد اندرس هذا المسجد باستيلاء البرتغال على هذه البلدة كسائر مساجدها التي أهينت وعملت بغير ما نوع من الإهانة وأخيراً أتى على الخراب والدمار من تلك اليد الغاشمة .

ثم بعد رجوع البلد للإسلام أسس بموضعه هذا المسجد أيضاً وأقيمت به صلاة الجمعة فى دولة السلطان المولى عبد الله العلوى بالكتاب المؤرخ بـ ٢٩ سفر سنة ١١٤٦ .

وعلى محرابه تكلم القاضى أبو عبد الله فى إرشاد السائل حيث قال :
وأما مسجد الرباط ومسجد دار البحر فقد انحرف صوب محرابهما قليلاً جداً إلى جهة الجنوب اهـ .

ثم هدم هذا المسجد بأمر من القائد السيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى صاحب رئاسة آسفى واحوز - إما لتصدعه ببعض الزلازل أو لغير ذلك من الأسباب وأمر بإعادته على هيئة بديعة غاية فى حسن الصنعة ، وكان الشروع فى بنائه تاسع رمضان سنة ١٢١١ - كما رأته بخط قاضى آسفى اليد الجليلى بوخرىص - وقد عده فى الاستقصاء من آثاره أيضاً ، وقبلته منحرفة يسيراً لجهة الجنوب أيضاً .

مسجد الشريف سيدى الحاج التهامى

هذا المسجد أسسه الشريف المثرى السيد الحاج التهامى الوزانى رحمه الله بجنوب رباط آسفى لما كثرت العمارة بهذه الجهة وكان الفراغ منه يوم السبت سادس أو سابع وعشرى رمضان سنة ١٣٣٣ هـ. بعد أن توفى مؤسسه فآتمه ورثته بالمال الذى كان أرصده له وعقب الفراغ منه أقيمت به مأدبة فاخرة وأقيمت به الجمعة والصلوات الخمس وغيرها من اللوازم.

وفى سنة ١٣٤٣ زيدت فيه السوارى الأربع المكتنفات للخصة بما عليها على نفقة إدارة الأحباس - وفى هذه السنة أنيرت هذه المساجد بضوء الكهرباء الحديث بدلاً من ضوء الزيت سوى مسجد القصبة فإنه كان مهملأ ولما أصلح أضىء كذلك بالكهرباء.

مسجد خارج باب الشعبة

هذا المسجد أسسه الفاضل الحاج محمد بن محمد الحفيد بخارج باب الشعبة وكان الفراغ منه متم شعبان سنة ١٣٤٥ هـ. وأقيمت به الجمعة والصلوات الخمس تقبل الله عمل المحسنين.

الزوايا والرباطات

ما هى الزوايا: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن مرزوق فى كتاب المسند الصحيح الحسن: هذه الزوايا هى التى يطلق عليها فى المشرق الربط والخوانق، والخانقات علم على الربط وهى لفظ أعجمى، والرباط فى

اصطلاح الفقهاء عبارة عن احتباس النفس فى الجهاد والحراسة، وعند المتصوفة عبارة عن المواضع التى يلتزم فيها العبادة.

والظاهر أن الزوايا فى المغرب هى المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين. وأما الربط على ما هو المصطلح عليه فى المشرق فلم أر فى المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط سيدى أبى محمد صالح والزاوية المنسوبة لسيدنا أبى زكرياء يحيى بن عمر بسلا غربى المسجد الجامع الأعظم، ولم أر لهما ثالثاً على نحوهما فى ملازمة السكان وصفاتهم وشبههما بمن ذكر نفع الله بهم اهـ.

وإذا ماتت الشيخ انقطعت التربية المصطلح عليها بين الصوفية ويبقى المنتسبون إليه يجتمعون فى زاويته على تلك الأذكار التى لقنها لهم وقيمون الصلوات الخمس فى الزاوية ويرتب لها الإمام والمؤذن والحزابون بأجور معلومة ويقصدها كل من يريد الصلاة سواء كان من المتسبين إلى الشيخ أم لا.

وحيث انقطعت التربية بموت الشيخ وصارت الزاوية مفتوحة الأبواب لكل مصل وصارت لها ميزة المساجد، فإنها تعتبر فيها أحكام المساجد فإذا أحدث مسجد قرب آخر وأضر بالقديم فإن المحدث يغلق ويعدم كذلك الزاوية الغربية من المسجد فلا يجوز إقامة الصلاة بها بالإمام الراتب لما يترتب عليها من الضرر بالمسجد، والزاوية البعيدة من المسجد بحيث يشق على أهل حومتها مجيئهم للمسجد مشقة شرعية فلا بأس بصلاتهم فيها لأنها كمسجد محدث بعيد من الأول.

وقد أمر الله نبيه ﷺ بهدم مسجد الضرار فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ

اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ... ﴿١٠٨﴾ ﴿
[التوبة].

فالصلاة رابطة إسلامية تجمع المسلم بأخيه كل يوم خمس مرات فهي
بعد كونها من أركان الإسلام، وسيلة التآلف والتعارف بين الناس وإذا كان لا
مندوحة من إحداث الزاوية بقرب المسجد فلا تقام فيها الصلوات الخمس
ويقتصر فيها على ما بنيت له وهو العبادة والتربية إن كان من يربى ويرشد
وإلا فتعامل بما عومل به مسجد الضرار.

وقد رأينا كثيراً من الزوايا راحت المساجد بالمناكب وفعلت في تشيت
هذه العصاة الإسلامية ما لم يفعله العدو بعدوه، وكانوا كمن بنى قصرًا
وهدم مصرًا، حيث يقولون ما أردنا إلا الخير وهم ضيعوا خيرات وجنوا
سيئات بتفريق جماعة المسلمين وعدم تكثير سواد المصلين في المساجد.

فنحن نوافقهم على الخير الذي هو الذكر والخلوة للعبادة بالزاوية فنعم
الخير ولكن بثما صنعوا بترك الصلاة في المساجد.

وقد قال المواق في سنن المهتدين: إن أكثر العلماء بأحكام الله أنكروا
استحداث الزوايا ورأوا الأوقاف عليها معطلة المصرف ومنهم من وافق
الصوفية وشرح اتخاذها اهـ.

نعم من شرح اتخاذها سواء من أقلية العلماء أو الصوفية بشرط عدم
مصادمة نص شرعي أو إدخال ضرر على جماعة المسلمين بتفريقها وصوررتها
جماعات جماعات.

والمحققون من الصوفية هم أحق الناس بتحكيم النصوص الشرعية وأولى الناس بحفظ الهيئة الاجتماعية، فالداهية إنما جاءتنا من الأتباع الذين اتبعوهم فلم يحسنوا الاتباع وقلدوهم فلم يحسنوا التقليد، ولم يضعوا كلام الشيوخ على مواضعه، بل حملوا عليهم ما لم يقولوا، وفهموا من كلامهم ما لا يليق بمنصبهم على رغم كون الشيوخ المحققين يصرحون بعرض كلامهم على الكتاب ولسنة وأوصل الشريعة فما قبلته وإلا فلا.

وحيث جاء تأسيس بعض الزوايا بقرب المساجد منافياً لأصول الشريعة التي تحضنا على تكثير سواد المصلين بالمساجد، فلا يلصق ذلك بشيوخ الصوفية لما ذكرناه، ولأن غالب تلك الزوايا إنما أسست بعد موتهم فلم يشهدوا ذلك ولم يقرروه، وعلى تقدير إذا وجد من جوز ذلك وافات على الشريعة فهو دخيل فيهم متستر باسم التصوف فيضرب بفعله عرض الحائط لأن الشريعة هي أحق بالصيانة من ذلك الدخيل.

ألا يرى العاقل أن النبي ﷺ حضنا على تسوية الصفوف قائماً لا تختلفوا فتختلف قلوبكم.

فاختلاف الظاهر ونحن في صلاة واحدة وصف واحد دال على اختلاف بواطننا، فكيف وقد صرنا جماعات جماعات كل واحدة تؤدي صلاتها في مسجد محدث أو زاوية محدثة بدلاً من المسجد القديم فلا شك أنه أدل دليل على اختلاف قلبنا وتنافرها الشيء الذي تنافيه الشريعة الإسلامية.

فصلاة هؤلاء الناس الذين لا يباليون في أي محل أوقعوها في محل شرعى أو بدعى صلاة خالية من مقصود الشارع منها لأن للصلاة أحكاماً وأسراراً من أهمها ربط العلائق الودية بتكثير المصلين حيث يجتمعون كل يوم

خمس مرات، فيعرف هذا هذا ويعلم هذا هذا وغير ذلك وإليه يرشد قوله تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» الآية نطلب الله التوفيق لما فيه رضاه.

رباط الشيخ أبي محمد صالح رضى الله عنه المتوفى سنة ٦٣١

كان للشيخ أبي محمد صالح رضى الله عنه عدة زوايا ورباطات بالمشرق والمغرب.

وهذا الرباط بأسفى هو مركزه الوحيد طار له الصيت فى الآفاق وشدت إليه الرحلة الرفاق فكم تخرج منه من الأئمة الأعمام والشيخوخ المرشدين العظام الذين كانوا نجومًا يهتدى بهم الأنام.

وقد ظلت هذه الزاوية بأسفى شاغلة فراغًا كبيرًا طيلة النصف من القرن السادس وكامل السابع والثامن والتاسع على رغم التقهقر الذى كان يسرى إليها ضرورة سريانه فى جسم الأمة الإسلامية عمومًا، وفى الأمة الآسفية خصوصًا حتى فاتح القرن العاشر الهجرى كان سقوطها الأخير بانصباب البرتغال على هذه البلاد فانطمست معالمها وذهبت تعاليمها.

ولو لم يكن من حسنات رجال هذا الرباط إلا حسنة واحدة لكانت كافية فى فضلهم ومفخرة عظيمة من مفاخرهم ذلك هو الدعاء إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه السلام، ذلك الركن الإسلامى والموسم الحفيل الذى هو الرابطة الوحيدة الإسلامية التى تربط المسلم بأخيه وتجمعه به كل سنة، ولو تباعدت الديار ونأت الأقطار فيعرف هذا هذا ويفيد هذا هذا وتتجدد أواصر المحبة والارتباط.

أجل كان للشيخ أبى محمد صالح رضى الله عنه فى الدعاء إلى الحج والمؤتمر الإسلامى إلا على المنظم من فوق سبع سموات، الأثر المحمود والمقم المشهود حتى مهد له السبيل من المغرب وكون الركب الحجازى فكان مهما انتهى إليه أحد يجعل أهم الشروط لصحبته إياه حج بيت الله الحرام وبث أصحابه فى المراكز من آسفى إلى الحجاز بل جعل ولده السيد عبد العزيز بمصر حتى توفى بها، ثم كان حفيده السيد إبراهيم بن أحمد بن أبى محمد صالح بالإسكندرية، وكان بعده ولده العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم مؤلف المنهاج الواضح، فكان الأصحاب المنبثون فى المراكز مهما ورد عليهم أحد يريد الحجاز فلا يجعلون له مجالاً فى المكث بأى بلد حتى يحج ويזור بل يمدون له اليد بكل ما لديهم من معونة ويسرونه من القوافل بعد ما تحامى ذلك المغاربة لوعورة الطريق وكثافة الموانع حتى قال قائلهم إن الحج ساقط عن أهل المغرب، فقام الشيخ أبو محمد وأصحابه لحرب هذه المغالة الصادمة لهذا الركن الإسلامى فبدلوا جهودهم فى الحث على الحج وتسيير الناس إليه وبث الأصحاب فى المراكز ليأخذوا بيد الضعفاء ويعينوهم على سلوك الطريق إلى الأماكن المقدسة حتى يبلغوا الأمانة من أداء الفرض الواجب ويفوزوا بالأسرار المودعة فيه .

كانت طائفة الشيخ أبى محمد صالح كجمعية تبشيرية بأرقى نظام كافل للنجاح تجبب إلى الناس الحج وتسهل عليهم الطريق وتزودهم إليه فما أوسع نظر هذا الشيخ وما أكثر غوصه فى فلسفة التشريع فإنه رضى الله عنه رأى امتهان النفس فى طاعة الله أمراً محموداً شرعاً ومعقولاً طبعاً ويظهر ذلك عند الموازنة بين تلك المفسدة التى هى المشقة الحاصلة فى الطريق وما انطوى عليه

من الأسرار الدينية والصحية يدرك بالبديهة رجحان تلك المصلحة، أن تلك
المفسدة المرجوحة لا يسقط بمثلها الواجب.

ويرحم الله الإمام أبا بكر بن العربي حيث قال العجب ممن يقول الحج
ساقط عن أهل المغرب وهو يسافر من قطر إلى قطر ويقطع المخاوف ويخرق
البحار في مقاصد دينية ودينية والحال واحد في الخوف والأمن والحلال
والحرام وإنفاق المال وإعطائه في الطريق وغيره لمن لا يرضى اهـ.

كما ألف في المسألة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي البستي
تأليفاً قاتلاً: يأبى الله والمسلمون سقوط قاعدة من قواعد الإسلام وركن من
أركان الدين وعلم من أعلام لشريعة عن مكلف ضمه أفق من آفاق الدنيا أو
صقع من أصقاع الأرض، وهذا معلوم في الكتاب والسنة والإجماع وأطال
وأطاب كما في الخطاب.

وقد أثمر غرس الشيخ أبي محمد صالح رضى الله عنه في هذه المهمة
وفتح على يديه سلوك طريق تلك الأماكن المقدسة وكان أولاده وأحفاده
وتلاميذه على هذا المنوال في كل مكان مبشرين بالدعاء إلى بيت الله الحرام
حتى تكون الركب الحجازي رسمياً في الدولة المغربية له قائده وقاضيه، وكان
أولاد الشيخ أبي محمد وأحفاده يتولون قيادته ورياسته رسمياً.

وعلى الجملة فيجب على كل مؤمن شكر هذه المهمة القعساء والشيمة
العالية التي خلدت هذه المفخرة العظيمة وشيدت هذه المأثرة الفخيمة التي هي
الوسيلة الوحيدة لربط علائق أهل الإسلام وجمع أوصالهم بعد ما أخنى عليه
الدهر بكلكله ورام من لم يغص في فلسفة التشريع الإسلامى نقضها
وإسقاطها فله در هذا الشيخ من طيب ماهر، حيث لم يقصر ذلك على

الدعاء باللسان حتى أخرج ذلك لحيز العمل، فكانت تلك الحسنة العظيمة من نصابه، ولم يكن كغيره ليقصر على القول باللسان وينحاز إلى أركان بيته قائلاً أدبت الواجب شأن الكسالى والعجزة والله سبحانه ولى التوفيق.

زاوية الشيخ محيى الدين أبى محمد عبد القادر الجيلانى الحسنى المتوفى سنة ٥٦١ رضى الله عنه

هذه الزاوية بداخل مدينة آسفى قديمة العهد وكان تجديدها سنة ١٣٠٨ - وكانت على غاية من الاختلال وعدم الانتظام حيث كان من فقرائها من يأتى أفعالاً منكراً كالضرب بالآلة والرقص ونحو ذلك فقيض الله لهم من أهل العلم من طهرهم من ذلك جزاهم الله خيراً.

زاوية الشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى المتوفى سنة ١٠٨٢ رضى الله عنه

أسست هذه الزاوية بداخل المدينة على مقربة من المسجد الكبير قبل سنة ١١٤٢هـ والقديم مها هو النصف الموالى للمحراب والبقاى محدث فى عصرنا، ولم يرض زيادة ذلك الفقيه الإمام أبو زيد السيد عبد الرحمن المطاعى رحمه الله محتجاً بقربها من المسجد وقد أحدثت ضرراً بالمسجد لكنه وجد من أهل العلم ضداً قد تناسوا حكمة الشارع فى تكثير سواد المصلين والله الموفق.

زاوية الشيخ المولى عبد الله الوزانى

المتوفى سنة ١٠٨٩ رضى الله عنه

أسسها المتسبون إليه بداخل المدينة فوق جامع أفنان وعلى مقربة منه أواسط القرن الثانى عشر. وفى ليلة السبت أواخر شعبان سنة ١٢٨٨هـ أقام الشرفاء الوزانيون بها حفلة حضرها الأعيان والأمناء وغيرهم من الذوات فأنعم الحاضرون بفتوحات بلغت ألفاً وثلاثمائة مثقال جددت بها هذه الزاوية ولم تزل تدخلها تحسينات إلى الآن.

الزاوية المنسوبة للشيخ المولى العربى الدرقاوى

المتوفى سنة ١٢٣٩ رضى الله عنه

هذه الزاوية أسسها المتسبون إليه حوالى سنة ١٢٧٠ فيما بين المسجد الكبير وأفنان ولم تزل تدخلها تحسينات إلى الآن ولها إمام راتب ومؤذن وغير ذلك من لوازم المساجد.

الزاوية المصلوحية المنسوبة للشيخ المولى عبد الله بن

حسين المتوفى سنة ٩٧٧

وأسسها حفيده الشريف مولاي سعيد بن مولاي عبد السلام على مقربة من المسجد الكبير وكانت داراً فاشتراها بسبعين مثقالاً بتاريخ فاتح جمادى الثانى سنة ١١٣٢هـ وحبسها على التلاميذ المتسبين لجدده يجتمعون فيها للذكر والقرآن والمواظب حسبما ذلك مسطر فى شهادة تحبسه ماشياً رحمه الله فيها

على الشيء الذى أسست له الزوايا من الوعظ والتذكير والعبادة، لكن ها هي
خرجت عن شرط المحبس وأقيمت فيها الصلوات الخمس حوالى سنة
١٣٣٥هـ.

الزاوية المنسوبة للشيخ المولى أحمد التجانى رضى الله عنه المتوفى سنة ١٢٣٠

أسسها المنسوبون إليه فوق مسجد أفنان سنة ١٢٨٥هـ.

ثم أسست أخرى بتراب الصينى وتمت فى ٢٤ رمضان سنة ١٣٣٨ ثم
أسست أخرى بحومة بياضة حذاء مسجدها الثلاث تقام فيه الصلوات
الخمس.

الزاوية المنسوبة للشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن عيسى المتوفى سنة ٩٣٣

هذه الزاوية فوق جامع أفنان كانت داراً لرجل يقال له المكى بن حموش
فحبسها على المتسبين للشيخ المذكور وكان ذلك بعد سنة ١١٣٢، وهذه
الطائفة كانت قد حادت عن سواء السبيل وابتدعت فى دين الله من البدع ما
شوهت محاسن الإسلام وألبسته سجعاً من الضلالات، حيث إنهم يخرجون
يوم موسمهم للشوارع متلطخين بالدماء أكليين للحوم النيئة فى هيئة منافية
لمبادئ الدين الإسلامى وفضائله السامية.

وقد برقت والحمد لله بارقة فى رجوع العقلاء منهم عن هذا الفعل

الشيعة والأمر الفظيع، وذلك بإرشاد جماعة من أهل العلم ببلدنا الذين يهتمهم الأمر فوعظوا وأرشدوا حتى استولوا على البعض منهم وبهم خدموا الباقين ثم أعلنوا توبتهم بين يدي العلماء وسجلت توبتهم بشهادة العدول ورفعت لجلالة السلطان أعزه الله فأصدر أمره بمنع هذه السيئة في جميع البلدان المغربية سنة ١٣٥٢هـ - وصادف الحال قلوب العقلاء من الناس مشرئبة لقطع هذه المفسدة فانقمع غالب من في الحواضر وبقى أهل البوادي على همجيتهم متتهكين أمر الله ورسوله وأمر السلطان جانين على الإنسانية أفضع الجنايات وأقبحها - ونرجو الله أن تتوفر الدواعي مرة ثانية على استئصال شأفة هذا الداء الوبيل حتى تنحسم مادته من جميع الأماكن ويتطهر الإسلام من هذا الخبث الشيعة نطلب الله التوفيق لما فيه رضاه.

الزاوية المنسوبة للشيخ أبي الحسن علي بن حمدوش

المتوفى سنة ١١٣٥

أسست هذه الزاوية أواسط القرن الثالث عشر الهجرى ولم يكن بها إلا بيت لاطيء حتى صدر القرن الحالى الهجرى لما كثر أهل البدع فيها فهدم البيت، وبنيت على المنوال الموجود الآن.

وهذه الطائفة سبيلها سبيل التي قبلها قد ارتكبت من الأفعال القبيحة أفحشها، ومن المناكر الشيعة أقبحها - ذلك هو ضربهم رءوسهم بشواقير أو كور حديد فرمما قتل أحدهم نفسه فيذهب ضحية الهمجية. فتجدهم في أفضل الأيام خارجين فى ربهم الشيعة ومزاميرهم يشدخون الرءوس والدماء تسيل واليهود وغيرهم يضحكون ويسخرون منهم.

وقلوب أهل الإيمان تبكى حشرات على ما ألصق بالدين الإلّامى مما هو
برىء منه وعلى الحالة التى بلغ إليها أهله ن الجهل بتعاليمه النقية التى تباين
هذا الفعل كل المباينة .

إلا أنهم والحمد لله قد رجع العقلاء منهم وأعلنوا توبتهم على أيدي
أهل العلم من بلادنا سنة ١٣٥٢ فسجلت عليهم الشهادة بذلك، ورفعت
لجلالة السلطان مع الطائفة العيساوية فأصدر أمره بمنع ذلك فى جميع بلاد
المغرب ولقد كانوا أسبق من الطائفة العيساوية إلى التوبة والإعلان بها وفتحوا
لها باب الخير جزى الله العقلاء خيراً .

نعم قد وقع الافتيات على الأمر المولوى فى هذه السنة أى سنة ١٣٥٣
- وذلك ببجل زرهون محل خبثهم وشناعتهم فاجتمع هناك الرعاع عملوا
موسمهم وشدخوا الرءوس فنلفت جلالة السلطان أعزه الله وأولى الأمر لقطع
مادة هذه السيئة وفقهم الله .

زاوية الشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن سليمان الجزولى المتوفى سنة ٨٧٠

كان تأسيس هذه الزاوية برباط آسفى على شاطئ البحر أواسط القرن
التاسع الهجرى أو صدره وهى محل تعبده - ١٤ سنة وبها كان ظهوره
فقصدته الوفود من الجهات الدانية والقاصية حتى اجتمع لديه أزيد من اثنى
عشر ألفاً من الأصحاب كلهم نال من معلوماته على قدر مرتبته، لكنه ضاق
منه ذرعاً عامل وآسفى المستبد بها حمادى أبى فرحون فقال للشيخ إما أن
تخرج عنى أو أخرج عنك، فقال له الشيخ أنا أخرج عنك، ولكن أنت على

أثرى فخرج الشيخ إلى جنوب آسفى، ونزل بلاد أفوغال من الشياظمة وأقام حتى توفى هناك، وأما القائد فإنه سلط عليه ابن أخيه فعزله من الولاية وقتله غيلة وتلك عاقبة الظالمين، وهذه الزاوية لا يزال من أثرها بيت بشاطئ البحر برباط آسفى يحفظ اسم خرة الشيخ الجزولى يتبرك به.

الزاوية البدوية المنسوبة للشيخ سيدى محمد العربى

المتوفى سنة ١٣٠٩

أسسها المنتسبون إليه برباط آسفى حوالى سنة ١٣٢٥هـ.

المستشفيات المعبر عنها قديماً بالمارستانات

كان بآسفى مستشفى لمعالجة المرضى من آثار الدولة المرينية ذكره ابن الخطيب السلماني فى كتاب نفاضة الجراب لما دخل آسفى سنة ٧٦١ - حيث قال وفى هذه البلدة المدرسة والمارستان وعليها مسحة من قبول الله، وقال تردد إلى بها صاحب السوق ومقيم رسم المارستان الشيخ أبو الضياء منير بن أحمد الهاشمى الجزيرى اهـ.

وهذا المستشفى يظهر أنه من مؤسسات السلطان أبى عنان المرينى وقد قال عنه ابن بطوطة فى رحلته أنه بنى فى جميع بلاد المغرب مارستانات ويحتمل أن يكون من تأسيس والده أبى الحسن، قال ابن مرزوق أنه جدد المارستان بفاس وغيره، وكان له أعظم اعتناء وقد أحيا سبيله من بعده فيه ولده أبو عنان والولد سر أبيه اهـ.

وكان يوجد بأسفى فى كل زمان من يتعاطى هذه المهنة وكان منهم الطبيب العام والخاص كأطباء العيون ونحو ذلك وآخر من كان يحترف بصناعة الطب من أهل آسفى الطبيب السيد أحمد مرحبو الآسفى الأندلسى الأصل كان له معرفة بالطب ويد عاملة فيه جال فى سبيله وساح حتى أخذه وكان يتجول فى الحواضر والبوادرى مدة تعاطيه وكانت وفاته فى نحو العشرة الثانية من القرن الحالى الهجرى إلا أنه أصاب هذه المهنة ما أصاب غيرها من الانحطاط .

وفى دولة السلطان المولى يوسف بن المولى الحسن رحمهما الله تأسس المستشفى الأهلى بجنوب رباط اسفى بأعلى هضبة يقصده الناس من الحاضرة والبادية كما يوجد أطباء آخرون بالحاضرة ومنهم من هو مخصص بالبوادرى والأسواق .

الآثار الخيرية والملاجئ

كان بأسفى من هذا النمط دار الزاوية التى أسسها القائد عبد الرحمن ابن ناصر العبدى الجرمنى قرب داره برباط آسفى مشتملة على عدة بيوت وثلاث ماجلات (نطافى) للماء وبجانبتها فندق الدواب وكان فراغه منها يوم الخميس رابع عشر ذى القعدة سنة ١٠٢٦هـ ورتب المؤنة فيها للزوار والوراد فكانوا يجدون فيها الإسعافات الكافية لهم ولا يزال رسمها محفوظاً إلا أنها تطورت بها الأحوال فاستحالت إلى أماكن أخرى .

محل الطيور الساقطة

من آثاره أيضاً محل كان اتخذه لإيواء الطيور المريضة وغيرها التي توجد ساقطة فيؤتى بها إليه فتطعم وتسقى وتعالج بما يناسبها حتى تصح فتطير أو تموت فتستريح .

أوقاف المساجد والمدارس

من مفاخر الإسلام وأهله: الأموال الموفرة والمرصدة لتأسيس المعاهد الدينية والمدارس العلمية وإصلاحها وترميمها والتي يرزق منها الموظفون الدينيون والمدرسون وغيرهم، ممن يقوم بمصلحة دينية أو اجتماعية، وقد كان لهذا البلد من ذلك الحظ الأوفر الذي يقوم بأود معاهده إلا أنه بغاية الأسف اندثر ذلك بتوالى النوائب وأعظمها داهية البرتغال التي أتت على كل المعالم الدينية والأثرية ولما انصرفوا عنه ابتدأت الآثار الوقفية تنتعش شيئاً فشيئاً وقد ظلت على ضعفها قائمة بقسط من الواجب حتى أنها لضآلتها اضطر السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى أن يرد عليها أوقاف السور، وأن ينفذ لها إعانة سنوية من أوقاف مراکش - ١٢ قنطاراً من الزيت - وأصدر بذلك كتاباً مؤرخاً بـ ١١٧٧هـ.

ولما تولى أمر آسفى القائد السيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى الجرمنى اجتهد فى إمدادها وتقويتها فاشترى كثيراً من الدور والعقار وحبسه عليها وقد عثرت على دفتر صائر أحباس المساجد بعد وفاته بستين فإذا هو يحتوى على أكثر من ثلاثمائة ملك ما بين دار وحنوت وعقار وكانت محولة أوقافه مكتوبة

مذهبة إلا أنها فى الأيام الأخيرة امتدت لها يد الاختلاس فلم يوفق لها على أثر. ويوجد الآن بها على إحصاء سنة ١٣٤٣هـ ٧٥٠ ملكاً.

أوقاف السور والمحارس

كان بأسفى أملاك مرصدة لمصلحة سورها ومحارسها وغير ذلك مما يرجع لتحسين البلاد وصيانتها. ولست أدري أوليتها إلا أنها وليدة ما بعد القرن العاشر الهجرى، وكانت فى الدولة الإسماعيلية لهم قيم يقوم بتنميتها وحفظها وينظر فى ترميم الأسوار والمحارس وعلى رغم كون السلطان سيدى محمد بن عبد الله أصدر أمره سنة ١١٧٧ بضمها لأوقاف المساجد فقد استمرت إدارتها مستقلة إلى حوالى سنة ١٢٧٠هـ.

وآخر من كان قيماً عليها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشفورى رحمه الله. والغالب عليها أنها أضيفت لأوقاف المساجد والله أعلم.

أوقاف الغرباء

كان بأسفى ملك بحومة النجارين للغرباء الذين تقطعت بهم الأسباب، وذلك صدر القرن الثالث عشر الهجرى ولست أدري ما فعل الله به.

الآثار القديمة

يوجد بأسفى دار السلطان بالقصبة العليا وهى دار ملوكية واسعة الأرجاء شامخة الأركان جاءت بفضل موقعها مشرفة على المدينة والبحر، كما أنها آخذة من البر حسن البهجة والمنظر.

ويظهر أنها قديمة جداً كانت موجودة فى منتصف القرن الثامن الهجرى إلا أنها خربها البرتغال فيما خربوا من المدينة لما أخلوها وأوقدوا فيها النيران ثم أسسها الملوك السعديون ويغلب على الظن أن مؤسسها منهم هو أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي حوالى منتصف القرن العاشر الهجرى لأنه الذى عمر آسفى ورد إليه أهله وبالضرورة يبنى به هذه الدار الملوكية المعدة لنزول الأمراء والسلاطين.

وكان بعد ذلك الملوك يتعاهدونها بالإصلاح كالسلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى فإنه نزلها لما كان خليفة عن والده بهذه النواحي، وكذلك نزولها ولده المولى هشام لما كان خليفة عن والده وفى إمارته بعد على الحوز، فخلد بها آثاراً منها داره المعروفة بالباهية وأودعها من النقش والتخريم ما يجذب القلوب وتستحسنه الطباع وله المتزه العالى المشرف على البحر والبر وتوجد بها أماكن عديدة ودور واهرية وغيرها مما هو من ضروريات الملوك وفى وسطها مسجد من محدثات ذلك العصر.

وفى دولة السلطان المولى يوسف رحمه الله سنة ١٣٣٠هـ أو بعده اتخذتها المراقبة محكمة لها وأدخلت عليها إصلاحات وتغييرات لكن لم يعم الإصلاح جميعها، بل كان خاصاً بما تتوقف له ضرورة المراقبة ولذلك انهدم منها الركن الشمالى صبيحة يوم الجمعة ٢٥ محرم سنة ١٣٤٧هـ فكان من آفاته سقوطه على دار مات فيها ثلاثة من الصبيان فانتقلت عنها المراقبة وظلت تخفق فى مصارعها الرياح وتعبث بالباقي منها يد الإهمال والإغفال فانطمس كثير من محاسنها إلى أن التفتت إليها إدارة الآثار القديمة فأعادت ذلك الركن ورعمت الباقي فانتقلت إليها المراقبة بعد ذلك سنة ١٣٥٢هـ.

ومن آثارها الكنيسة البرتغالية بداخل المدينة وهي كنيسة عجيبة الصنع محكمة الوضع أسسها البرتغاليون صدر القرن العاشر الهجرى بعد احتلالهم هذه المدينة فأسسوها على أنقاض المسجد الإسلامى الكبير بعد ما عاملوه بغير ما نوع الإهانة واتخذوا مناره مناراً للكنيسة يضرب عليه ناقوسهم وهو المنار الموجود اليوم للمسجد الكبير الإسلامى.

ولما استرجع المسلمون البلد استحالت هذه الكنيسة إلى حمام جزاء وفاقا عرف بحمام البوية (تصغير باب) لن بقى مع ذلك رسمها محفوظاً لم يقع أدنى تغيير فى جوهرها.

وقد استخلصتها إدارة الآثار القديمة سنة ١٣٤٦هـ وعوض ملاكها بحمام آخر.

ومن الآثار رعى الريح أما رباط آسفى فى أعلى ربوة غاية فى الإتقان وكانت مستخدمة فى الطحن إلى حوالى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى أو بعده بقليل تحت إدارة الأوقاف ثم أهملت وبقى رسمها محفوظاً إلى الآن ويمكن أن تكون للبرتغاليين أو للملوك السعديين وهى تحت يد إدارة الآثار.

ومنها القصبة السفلى البرتغالية على البحر والأسوار والمحارس وغير ذلك مما أسلفناه.

مشاهير بيوتات آسفى

بيت الشرفاء الوزانيين

أوليتهم: أول قادم منهم الشريف الأصيل ذو المجد الأثيل أبو العلاء مولاى إدريس ابن مولاى التهامى الحسنى الإدريسى اليملىحى الوزانى، وكان قدومه بعد وفاة والده سنة ١١٢٧ فتزوج بآسفى وترك زوجه حاملاً وسافر لوازان فوفاه هناك الأجل المحتوم فولد له الشريف الغطريف سيدى مولاى عبد الرحمن كان من جلة الأشراف خرة عن آسفى مغاضباً لأهل سفى ونزل جنوبها حيث ضريحه الآن بالزاوية الواصلية وكانت وفاته حوالى سنة ١٢٠٠هـ وقد خلف أربعة أولاد سيدى محمد ومولاى إدريس ومولاى التهامى ومولاى الصديق وكلهم عقبوا إلا الأخير.

وقد درج فيهم عدة رجال أعيان منهم الشريف النقيب البركة سيدى محمد بن عبد الرحمن المدعو المقدم المتوفى سنة ١٣١١هـ، وأخوه الوجيه الفاضل السرى سيدى عبد السلام المتوفى سنة ١٣١٩. وولده النجيبان مولاى إدريس بن عبد السلام والقائد الأجل الشريف سيدى عبد الرحمن عامل الأغياث من عبدة بارك الله فيهما.

والشريف الوجيه ذو المكارم الغزيرة والشيم الحميدة السيد أحمد الشريف المتوفى سنة ١٣٠٩ عن عدة أولاد منهم عامل آل عامر من عبدة سابقاً الشريف السيد محمد العربى وسيدى علال وغيرهم.

والفقيه النبيه سيدى محمد بن علال أحد وجهاء هذا البيت السامى الآن وفقه الله.

والشريف البركة أبو العلاء سيدى إدريس بن عبد الرحمن كان من
مفاخر الأشراف توفى حوالى سنة ١٢٥٠. وولده الشريف الأظهر السيد عبد
الرحمن بن إدريس المتوفى سنة ١٢٨٩. والشريف الوجيه السرى النبيه سيدى
مولاي إدريس بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٣٢٥ عن عدة أولاد فضلاء
منهم شيخ الزاوية الشريف الفضال سيدى محمد بن إدريس بارك الله فيه
ووفقه.

بيت الشرفاء أولاد الناظر

أوليتهم: جامع شعبهم هو الفقيه العلامة الصالح الإمام البركة أبو
الفضل وأبو يعقوب سيدى يوسف بن عبد الصمد الحسنى الإدريسي من أهل
القرن الثامن الهجرى وعليه قبة بآدار من وسط بلاد الشياظمة وقد خلف عدة
أولاد منهم السيد الحسن والسيد بوجمعة والسيد أبو القاسم والسيد إبراهيم.
وقد استوطن آسفى منهم الشريف السيد مبارك بن الحسن وترك بها بنيه
فاستقرت فيهم خطة الحسبة حتى اشتهروا بها.

من أعيانهم الشريف الأجل الفقيه الوحيد أبو عبد الله السيد محمد بن
عبد الله المحتسب الحسنى كان أحد الأعيان الأماثل من أصحاب الشيخ أبى
العباس ابن ناصر توفى سنة ١١٥٩هـ. والفقيه الخطيب الإمام السيد الطاهر
ابن إبراهيم المحتسب الحسنى المتوفى سنة ١٢١٤هـ.

ولده الفقيه العدل الوجيه أبو إسحاق السيد إبراهيم بن الطاهر الحسنى
تدرج فى عدة خطط كالعدالة والحسبة والنظر فى الوقف توفى سنة ١٢٦٤.

والفقيه المفتى البارع السيد الهاشمى بن الطاهر الحسنى المتوفى سنة ١٢٧٢هـ، ويوجد الآن من أعيان هذا البيت الشريف الفاضل العدل النزيه الموثق السيد إبراهيم بن أحمد الناظر به عرف الحسنى. والشريف الخير الدين السيد إبراهيم بن الهاشمى الناظر الحسنى، والشريف الوجيه أبو الموارث السيد عبد الرحمن بن الطاهر الحسنى، والشريف البركة الناسك السيد الحاج عباس ابن الحاج محمد بن إبراهيم وغيرهم حفظهم الله.

بيت الشرفاء الأمازيغيين

جامع شعبتهم الشيخ سيدى محمد أمغار الكبير وأول من استوطن منهم آسفى الشريف البركة سيدى الوافى بن سعيد أواسط القرن الثانى عشر الهجرى، وتوفى باسفى وعليه قبة أمام باب الشعبة ولده الفقيه البركة القاضى نيابة أبو عثمان سيدى سعيد بن الوافى كان أحد الأعيان والوجهاء عدلاً فاضلاً واعظاً تولى نيابة القضاء وتوفى سنة ١٢٥١. والفقيه الخطيب الناسك أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد السلام الحسنى المتوفى سنة ١٣١٣هـ.

والشريف الهمام الوجيه سيدى الحاج لطاهر بن إدريس كان من أعيان الأشراف متوظفاً عدلاً بمرسى آسفى ونقيباً على الشرفاء بسايس وآسفى وتوفى سنة ١٣٣١. ولده الشريف الأشهر الوجيه الأظهر سيدى محمد بن الطاهر تولى النقابة بعد والده، ثم تولى قيادة أولاد بوعزيز الغربية سنة ١٣٣٨ - إلى الآن وهو حفظه الله من مفاخر الأشراف له خزانة كبيرة من مختلف الدفاتر، والشريف الغطريف الأمين الوجيه سيدى محمد بن إدريس تولى الأمانة بمرسى آسفى والصويرة ثم الحسبة بآسفى أيضاً وتوفى بها سنة ١٣٢٥.

بيت الشرفاء الوحيديين

جامع شعبتهم الشريف سيدى عبد الواحد بن أحدم الحسنى دفين تغبة على شاطئ البحر جنوب آسفى، وقد خلف أربعة أولاد: سيدى محمد صولة وسيدى عبد الصادق وسيدى أحمد وسيدى عبد الرحمن ولا زال أعقابهم بالموضع المذكور عدا الأخير، فقد انقرض عقبه فى عصرنا حوالى سنة ١٣٤٠.

وقد استوطن آسفى عدة أفراد من أولاد سيدى عبد الصادق أواسط القرن الثالث عشر الهجرى.

من أعيانهم الفقيه العلامة الوجيه السيد علال بن الحسن العزبه عرف الحسنى ثم الآسفى المتوفى سنة ١٣٠٣هـ عن ولده الشريف الوجيه السيد محمد بن علال المدعو بابن التوبة حفظه الله.

والفاضل الأستاذ العدل السيد عمر بن الحسن العز المتوفى سنة ١٣٠٢هـ عن ولده الفقيه العدل الوجيه الفاضل السيد الحاج محمد بن عمر حفظه الله. والفاضل البركة السيد علال بن المحجوب المتوفى سنة ١٣٤٦ عن ولديه الشريفين السيد أحمد والسيد عبد الرحمن من خيار الناس حفظهما الله.

والشريف البركة الصالح السيد محمد بن المحجوب المتوفى بأولاد سلمان حوالى سنة ١٣٢٥ عن ولديه الفاضلين السيد حجوب الذى بأولاد سلمان والسيد مولود الذى بآسفى كلاهما من خيار الناس ديانة وفضلاً حفظهما الله.

بيت الشرفاء أولاد مولاي الحاج

جامع شعبتهم الشريف سيدى عمرو بن زكريا بن أبى بكر الهرغنى
السوسى الإدريسى وأول قادم منهم على آسفى أواسط القرن الحادى عشر
الشريف السيد عبد الله بن محمد بن أحمد المدعو البغال.

ويوجد الآن من أعيانهم الشريف الفقيه المدرس أبو عبد الله الحاج
محمد بن إدريس المدعو بابن مولاي الحاج أحد المدرسين بآسفى حفظه الله
ووفقه.

بيت الشرفاء البوعنانيين

من أعيانهم الشريف الغطريف ذو المكارم الغزيرة مولاي على بن محمد
ابن عباس بن مسعود البوعنانى المتوفى سنة ١٣٢٨ عن ولديه الفاضلين السيد
الحاج محمد، والفقيه النبيه مولاي محمد حفظهما الله.
والأخوة الفضلاء السيد محمد والسيد عمر والسيد أحمد أبناء سيدى
عمر البوعنانى من خيار الأشراف وفضلائهم حفظهم الله.

بيت الشرفاء أولاد مولاي التهامى كديمات

من أعيانهم الشريف المفضل الوجيه مولاي التهامى بن إدريس المدعو
كديمات كان من سمحاء الأشراف وكرمائمهم المتوفى عن أولاده الثلاثة الأخيار
سيدى محمد وسيدى إدريس وسيدى أحمد حفظهم الله.

بيت أولاد ابن المدني

جامع شعبتهم الشريف سيدي ثابت بقبيلة سماتة وأول قادم منهم على آسفى الشريف الحاج عبد الملك بن عبد الرحمن آخر القرن الحادى عشر، ويوجد الآن من ذريته الشرفاء الأخوة الأفاضل السيد عبد الرحمن والسيد إدريس والسيد محمد أبناء السيد المدني بن عبد الرحمن بن المدني حفظهم الله .

بيت بنى القاضى أولاد ابن حم

أوليتهم من بلاد سكسيوة يرفعون نسبهم للمولى إدريس وكانت فيهم خطة القضاء قديماً فعرفوا به .

أول نازل منهم آسفى أواخر القرن الماضى الشريف البركة السيد حم دن محمد الحسنى السكسيوى ثم الآسفى المتوفى به عن ولديه الفاضلين السيد محمد المتوفى سنة ١٣٤٣ عن أولاده السيد أحمد والسيد الطاهر والسيد عبد الملك أصلحهم الله .

والفقيه النبيه الميقاتى النحوى السيد علال بن حم من خيار الناس فضلاً وعلماً وفقه الله .

بيت الشرفاء الدرقاوين

جامع شعبتهم الشريف الولى الصالح سيدي محمد بن يوسف الحسنى المدعو بأبى درقة المتوفى شهيداً مع السلطان يعقوب المنصور بالأندلس أواخر القرن السادس المدفون بتامسنا .

وأولاده فى عدة مواضع كانوا بأسفى قديماً وبهم عرف درب درقاوة، ثم انتقلوا عنه ونزلوا القليعة شمال أسفى وعلى مقربة منه .

بيت الشرفاء أولاد أقطار

نشأ هذا البيت السامى بسوس الأقصى وتدرج فى الخطط السمية فى الدولتين السعدية والعلوية .

واسطة عقدهم الشريف أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الحسنى فوض إليه السلطان أحمد المنصر السعدى أمر سوس الأقصا حريباً وخراجياً وغير ذلك، وكتب له كتاباً بذلك طويل الذيل عظيم الأهمية ملأه بالثناء عليه بتاريخ سنة ٩٩٢هـ . والقائد الأجل الوجيه الفقيه السيد الحاج على بن عبد الله أقطار الأسفى الدار كان من الملحوظين لدى السلطان سيدى محمد بن عبد الله ولاء أمر قبيلة بنى مسوان - فرقة من بنى تامر من حاحة - وسوغه خراجهم وزكاتهم وسائر لوازمهم بالكتاب المؤرخ به ٨ شوال .

وله منه ظهير آخر له ولإخوانه بالتوقير والاحترام بتاريخ ١١٥٩ .

وكانت وفاته أوائل سنة ١١٦٤ . والقائد الأجل أبو عثمان سعيد بن محمد بن حدو أقطار المتوفى قبل سنة ١١٣١ . والشريف الأصيل البركة السيد المدنى بن محمد أقطار الأسفى كان بأسفى، ثم انتقل عنه لعزيب له حوز أسفى بقبيلة الربيعة وتوفى هناك سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف عن ولده الإبر الشريف الأنور الذاكر الوجيه ذو الزعامة السيد الحبيب بن المدنى كان من خيار الناس فضلاً ديناً وزعامة وفتوة . توفى رحمه الله سنة ١٣٤٦

عن عدة أولاد منهم الأديب الفاضل السيد محمد والسيد أحمد والسيد العربى
وفقههم الله .

ومنهم الفقيه الوجيه مولاي الطاهر بن أحمد بن الحاج الطاهر بن محمد
أعطار من فضلاء هذا البيت ونجبائه وأحد عدول آسفى وأمين الأملاك المخزنية
بعبة حفظه الله وفقه .

وتوجد بيوتات أخرى كأفراد من العلويين ، ومن أولاد الهوارى النازلين
بآل غياث ثم بآسفى البعض منهم وأولاد سيدى عبد الرحمن بن مسعود من
حاحة وأفراد من الشرفاء البوسعديين الذين بحاحة وأولاد اكلى من شرفاء
العلم نزلوا الجرامة والبعض منهم بآسفى .

ويوجد غيرهم ممن يتسب لهذا الجناح النبوى ممن لم طلع له على حجة
كأولاد الجبلى من العلميين وأولاد ابن عبود وأولاد ابن رقية من السليمانيين
وغيرهم .

بيت الشيخ أبى محمد صالح الماجرى

هذا البيت من أعظم البيوتات قدراً تعدد رجاله وفضلاؤه وقد أفردناهم
بتأليف سميناه البدر واللائح من مآثر آل أبى محمد صالح فلا نطيل بهم هنا .

بيت أولاد ابن الكاهية

أولية هذا البيت من ذكالة أولاد ميمون كما فى رسومهم القديمة من
أعيانهم الكاهية بلا بن محمد الميمونى الذكالى الآسفى ، كان متولياً النظر فى

أوقاف السور فى الدولة الإسماعيلية، ثم تولاها ولده الكاهية محمد بلا، ثم تولاها الكاهية عبد الله بن سعيد بن عبد الفضيل بن بلا بن محمد عامل أسفى بعدها المتوفى سنة ١١٨٤ - والقائد محمد بن الكاهية أحمد المدعو حمدان بن عبد الفضيل عامل أسفى والصورة وعبد المتوفى سنة ١٢٣٤ - والقائد الطيب بن محمد بن عبد الله بن سعيد كان من أكابر العمال فى دولة المولى عبد الرحمن. تولى أمر أسفى مدة طويلة وتوفى سنة ١٢٥٥، ويوجد الآن من فضلائهم صاحبنا الفقيه الميقاتى السيد محمد بن محمد ابن القائد الطيب المذكور، تميز بالعلوم الفلكية، وشارك فى غيرها والفاضل التاجر السيد عبد القادر بن محمد والأديب الفاضل السيد محمد بن أحمد وغيرهم وفقهم الله.

بيت أولاد ابن هيمة

أوليتهم من مراکش. وأول قادم منهم على أسفى التاجر الأرضى الحاج المحجوب بن عبد السلام بن هيمة وأخوه الحاج إبراهيم، وكانت وفاة الأول سنة ١٢٣٤ عن عدة أولاد من أعيانهم الفقيه العدل السيد محمد المتوفى عن ولده التاجر القائد الأشهر السيد الطيب بن محمد بن هيمة، كان من مشاهير التجار وتولى أمر أسفى وخطة الأمانة بالمرسى والسفارة لألمانيا فى دولة المولى الحسن وكانت وفاته سنة ١٣٠٢.

ولده الفقيه القاضى العلامة أبو عبد الله السيد محمد بن الطيب تولى قضاء أسفى وخطة الحسبة وغيرها، وتوفى سنة ١٣٠٢ عن أولاده الفقيه المحتسب الفاضل السيد عبد الله. ووكيل الغياب السيد عبد الرحمن حفظهما الله، والفقيه العلامة النبيه أبى العلاء السيد إدريس المتوفى سنة ١٣٤٠.

والقائد الأجل الدمث الأخلاق السيد عبد الخالق بن الطيب بن هيمة،
تولى أمر آسفى بعد والده وكان من خيار العمال وتوفى سنة ١٣١١ عن رلده
الأديب العدل الفاضل السيد عبد السلام أحد عدول المنجرة الآن، وعامل
آسفى وطنجة السيد حمزة ابن الطيب بن هيمة، تولى أمر آسفى بعد أخيه،
ثم تولى طنجة وتوفى سنة ١٣٥١ .

بيت الوزانيين

أوليتهم من وازان من مدشر القشريين ونسبهم على ما عندهم من عرب
صبيح أول قادم منهم على آسفى الأستاذان الفاضلان السيد عبد السلام
والسيد أحمد ابنا السيد عبد الله بن الحاج .

من أعيانهم الرجل الشهير الطائر الصيت فى الوجاهة والكرم والسيد
الحاج عبد الملك بن عبد السلام الوزانى تولى عدة خطط فأحسن إدارتها
وتوفى سنة ١٣٣٠ عن عدة أولاد منهم الفقيه العلامة الوجيه القاضى نيابة
السيد الحاج عبد السلام ابن الحاج عبد الملك من خيار الناس علمًا وفضلاً
ودينًا وولده الفاضل العدل النجيب السيد أحمد من نجباء الأبناء حفظهما الله .

والفقيه الأجل الوجيه الأمثل قائد الربيعة من عبدة السيد الحاج عبد الله
ابن عبد الملك أحد العمال الموصوفين بالسيرة الحسنة حفظه الله .

والفقيه البركة أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الملك المتوفى سنة
١٣٥١ رحمه الله .

والفاضل الوجيه الحاج الطاهر بن عبد عبد السلام ناظر أوقاف المساجد
المتوفى سنة ١٣٤٥ عن ولده الفاضل الفلاح السيد أبى بكر حفظه الله .

والفاضل المثرى الشهير السيد الحاج الطيب بن عبد السلام المتوفى سنة ١٣٤٤ عن ولديه الفقيه الخطيب العدل السيد محمود الفلاح السيد أحمد حفظهما الله .

والفاضل الوجيه العدل الحاج محمد بن أحمد بن عبد الله الوزانى أحد الأعيان تولى العدالة بمرسى الصويرة وتوفى بها سنة ١٣٠٨ عن ولده السيد الحاج أحمد حفظه الله .

بيت الشقوريين

أوليتهم من شقورة مدينة بالأندلس انجلوا عنها بعد استيلاء الإسبان على كامل الأندلس .

من أعيانهم: الناظر الشهير الحاج عبد القادر ابن الحاج عبد الرحمن الشقورى . تولى النظر فى أوقاف المساجد دهرًا طويلاً وتوفى سنة ١٢٣٠ عن سن عالية، ولده الوجيه الناظر الحاج عبد الله بن الحاج عبد القادر تولى عدة خطط كالحسبة والنظر فى الأوقاف والخلافة عن عامل آسفى وتوفى سنة ١٢٥٨ - ولده الوجيه الفاضل السيد محمد ابن الحاج عبد الله أحد الأعيان، تولى النظر فى أحباس المساجد والسور وتوفى سنة ١٢٩٠ عن عدة أولاد فضلاء منهم السيد الحاج أحمد والسيد عبد السلام وغيرهم وفقهم الله .

والفقيه العلامة السيد بناصر بن الحاج عبد الله الشقورى كان أحد أعلام الفقهاء تولى العدالة والفتوى ونيابة القضاء وتوفى سنة ١٣٠٥ عن ولديه الفقيهين السيد محمد المتوفى سنة ١٣٣٨ . والسيد عبد الله المتوفى سنة ١٣٣٣

- الأول عن التاجر السيد الطيب والسيد أحمد والسيد محمد والثاني عن السيد عبد القادر والسيد عبد الرحمن وغيرهما، والأستاذ البركة السيد محمد ابن عبد النبي ابن الحاج عبد الله أحد أساتذة القرآن توفى سنة ١٣٢٤ عن عدة أولاد كالفاضل السيد عبد النبي والفلاح الحاج محمد وغيرهم.

والفاضل العدل السيد الحاج أحمد بن عبد الخالق بن أحمد ابن الحاج عبد الله من عدول المنجرة ومن ذوى الأخلاق الفاضلة وفقه الله.

بيت أولاد الركوش

أوليتهم من الأندلس ولا يبعد أن يكونوا من حصن أركش بأحواز إشبيلية خرجوا إثر الكائنة.

من أعيانهم الفقيه العلامة القاضى أبو عبد الله السيد محمد بن على الركوش تولى قضاء آسفى دهرأ وتوفى حوالى سنة ١٢١٤.

والفاضل العدل الفرض المثرى أبو عبد الله السيد محمد بن على المتوفى سنة ١١٨٢ عن ولده التاجر الأشهر الحاج الحسن بن محمد بن على كان عقد شركة تجارية مع والده وكان يرحل لبلاد أوروبا لجلب البضائع وغير ذلك وتوفى سنة ١١٩٩.

وأخوه المثرى الحاج عبد الرحمن بن محمد بن على المتوفى سنة ١٢٠٠.

والفاضل المحتسب الحاج محمد ابن الحاج الهاشمى ابن الحاج عبد الرحمن أحد الفضلاء الأعيان تولى حسة آسفى مدة وتوفى سنة ١٣٢٤ عن

ولديه الفقيه المدرس العدل السيد الحاج الهاشمى والعدل السيد علال وفقهما
الله .

ومن فروع هذا البيت: الصانع المجيد فى النجارة الحاج محمد ابن
الحاج المكى بن الطيب ابن الحاج عبد القادر الركوش المدعو سطايش كان أحد
النبغاء فى النجارة والنقش والتخريم وقد أودع آثار صنعته فى قبة الشيخ أبى
محمد صالح وفى دور الأمراء والقواد وتوفى سنة ١٣٢٩ عن ولده الأديب
الفاضل السيد أحمد وغيره حفظهم الله .

بيت أولاد الحكيم

أوليتهم من عبدة من مفاخر هذا البيت بل من مفاخر الإسلام الفقيه
العلامة المشارك الصالح السيد البشير بن الطاهر بن الطيب الحكيم المتوفى سنة
١٢٩٦ .

وأخوه الفقيه العلامة المفتى أبو العباس السيد أحمد الحكيم المتوفى سنة
١٣٢٩ عن عدة أولاد منهم الأديب السيد عبد السلام حفظهم الله .

والفاضل البركة السيد عبد القادر بن الطاهر الحكيم المتوفى سنة ١٣٤٥
عن عدة أولاد فضلاء كالتاجر المثرى السيد الطيب والسيد البشير والسيد
محمد وفقهم الله .

والتاجر الأرض الدين الفاضل السيد الحاج عبد الرحمن بن الطاهر
الحكيم أحد الفضلاء الأعيان حفظه الله .

والمرحوم التاجر الفاضل السيد محمد بن الطاهر الحكيم المتوفى سنة
١٣٥٠ عن عدة أولاد أصلحهم الله .

بيت أولاد ابن عبد الخالق

من أعيانهم الفقيه العلامة القاضي السيد عبد الخالق بن إبراهيم الحجام به عرف تولى قضاء آسفى فاتضح نزاهته وتوفى سنة ١٢٣٤ . ولده الفقيه القاضي أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الخالق المتوفى سنة ١٢٨٦ . ولده العدل الفاضل السيد أحمد المتوفى سنة ١٣٥١ عن ولديه التاجرين الفاضلين السيد محمد والسيد عبد الخالق وفقهما الله .

والأمين العدل السيد أحمد بن الحاج إبراهيم الحجاج كان عدلاً وأمين المستفاد بآسفى وكانت وفاته حوالى سنة ١٢٤٠ . والوجيه الأمين العدل السيد محمد بن إبراهيم كان أحد الأمناء وكان موظفًا بالصويرة وبها توفى سنة ١٢٣٤ .

ويوجد الآن من ذريته الأستاذ السيد المعطى بن محمد بن محمد بن محمد المذكور حفظه الله .

بيت المطاعين

أوليتهم من قبيلة أولاد مطاع من أعيانهم الفقيه العدل الواعظ السيد أحمد بن محمد المطاعى كان حياً سنة ١١٥٧ . وأخوه الفقيه العدل السيد العياش بن محمد المطاعى المتوفى قبل التاريخ المذكور .

والفقيه الأعدل السيد أحمد بن أبى جمعة المطاعى المتوفى قبل سنة ١١٦٠ . والفقيه العلامة الورع المدرس النفاع السيد عبد الرحمن ابن الحاج الحسن المطاعى المتوفى سنة ١٣٤٧ - وأخوه الفقيه العدل الواعظ السيد أحمد ابن الحاج الحسن المطاعى حفظه الله .

بيت أولاد واعزيز

من أعيانهم الفقيه البركة الواعظ المرشد السيد محمد ابن الحاج عبد العزيز المدعو واعزيز بن عبيد الجرطى المتوفى سنة ١١٨٦ - ولده الفقيه السيد أحمد المتوفى حوالى سنة ١٢٢٠ - والأمين الفاضل السيد أحمد بن الطيب ابن محمد واعزيز أحد أمناء مرسى آسفى سنة ١٢٧٨ .

بيت أولاد الكراوى

أوليتهم من عرب الرحامنة، من أعيانهم الفقيه العلامة المفتى السيد أحمد المدعو حيدة بن عبد الله بن المهدي بن عبد السلام كراوا أحد البعثة التي أرسلها المولى عبد الرحمن لأوروبا لأخذ الهندسة وكانت وفاته سنة ١٢٩٣ - وأخوه الناظر الأجل السيد المهدي بن عبد الله كراوا تولى النظر فى أوقاف المساجد وتوفى سنة ١٣١٦ - والتاجر الشهير المثرى السيد أحمد بن محمد ابن الحاج المجوب بن المهدي كراوا أحد الأعيان المشاهير وذو الثروة واليسار توفى سنة ١٣٤٢ عن ولديه الشهيرين السيد محمد خليفة باشا آسفى والسيد الحاج عبد الله أحد مشاهير التجار حفظهما الله .

ومن أعيانهم التاجر الشهير السيد عبد الرحمن بن محمد ابن الحاج المحجوب أحد أعيان التجار كان ذا بخت فى التجارة ومعرفة بإدارتها. توفى سنة ١٣٢٨ عن ولديه الأديبين السيد محمد والسيد المهدي وغيرهما .

بيت الباعمرانيين

أوليتهم من قبيلة آيت باعمران حوز طرفانة من سوس الأقصا ثم من آيت سمور ثم من بنى الجزولى ثم من بنى على .

من أعيانهم الفقيه العلامة مفتى الديار الأسفية وحامل راية العلم بها السيد محمد بن على الباعمرانى المدعو السحيمى المتوفى صدر القرن المنصرم .
والفقيه العلامة الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الباعمرانى الاسمورى المتوفى بعد سنة ١٢١٤ .

ولده الفقيه المفتى الحائز رئاسة الفتوى أبو عبد الله محمد بن محمد الباعمرانى المتوفى سنة ١٢٧٢ .

ولده الفاضل الأمين السيد أحمد بن محمد الباعمرانى تولى الأمانة بمرسى آسفى سنة ١٢٧٣ .

ولده الفاضل العدل الدمث الأخلاق السيد الطيب بن أحمد الباعمرانى أحد العدول الفضلاء بارك الله فيه .

بيت أولاد ابن الهوارى

أوليتهم من بنى عروس من جبل العلم . أول قادم منهم على آسفى صدر القرن الماضى السيد محمد العروسى .

من فضلائهم الحاج محمد بن محمد بن الهوارى اسما بن محمد العروسى كان من ذوى الديانة والفضل ، وكانت وفاته سنة ١٣٢٨ عن عدة أولاد منهم محتسب آسفى وعامله السيد عبد القادر بن الحاج محمد بن

المتوفى سنة ١٣٤٧ - والفاضل المهندس السيد محمد ثالث ثلاثة بعثهم السلطان المولى الحسن لباريز لتعلم الهندسة وغيرها فكان أنجب تلك الحلبة وتوفى سنة ١٣٣٤ .

والفاضل الدين السيد الحسين والتاجر الشهير السيد عبد الرحمن أبناء الحاج محمد المذكور حفظهما الله .

بيت أولاد مية

أوليتهم من الأندلس من أعيانهم الأستاذ البركة السيد المحجوب ابن محمد بن الغالى مية أنجب عشرة أبناء أقرأهم كتاب الله بنفسه كان من أعيان العشرة الفقيه العدل السيد محمد بن المحجوب تولى القضاء نيابة عن قاضى آسفى وتوفى بعد سنة ١٢٥٧ .

والفقيه العلامة المدرس أبو العلاء السيد إدريس بن الحاج بناصر بن محمد بن المحجوب مية وفقه الله .
ومن فروع هذا البيت أولاد فينو .

بيت أولاد الدمنى

أوليتهم من نواحي دمنة قلعة كانت على مسير يوم من القصر الكبير .
من أعيانهم الفقيه الوجيه الرئيس الشهير السيد المعطى بن عبد الله الدمنى المتوفى سنة ١٢٦٦ .

والعدل الفرض الحيسوبى السيد أحمد بن الحاج الطيب بن المهدي
الدمنى المتوفى سنة ١٣٤٨ عن عدة أولاد منهم السيد الطاهر وفقه الله .
والفقيه الفاضل العدل السيد علال بن الغالى الدمنى وأخواه التاجر
السيد المعطى وغيرهم وفق الله الجميع .

بيت أولاد حدادو

أوليتهم من تطوان كانوا يترددون لأسفى فى سبيل التجارة ولما كانت
وقعتها سنة ١٢٧٦ - انتقلوا إليها واتخذوها داراً .

منهم التاجر الأرضى البركة السيد الحاج المهدي بن محمد بن أحمد
حدادود اتجر بأزمير من تركيا وغيرها وأخيراً ألقى عصا التسيار بأسفى وتوفى
سنة ١٢٨٢ عن عدة أولاد منهم التاجر الخبير بإدارة التجارة السيد محمد أحد
التجار الذين جابوا فى سبيلها الأقطار وركبوا البحار وأخيراً ولاه المولى الحسن
خطة الأمانة بعدة مراسى من المغرب وتوفى سنة ١٣٢٨ .

والناسك البركة السيد أحمد ابن الحاج المهدي أحد الناسك الفضلاء ،
توفى سنة ١٣٣٦ عن عدة أولاد منهم الفاضل السيد محمد وغيره أصلحهم
الله .

والفاضل الأخير السيد الحاج عبد الكريم بن المهدي أحد الفضلاء
الأخيار توفى بالصويرة سنة ١٣٣٠ عن عدة أولاد من أعيانهم السيد محمد
وفقههم الله .

بيت أولاد الغماز

أوليتهم من الأندلس من أعيانهم الفاضل الحاج عبد الرحمن بن قدور الأندلسي الأسفى المتوفى سنة ١١٩٩ .

ويوجد الآن منهم الفقيه العدل الرضى أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدور الأندلسي أحد العدول المرضيين الآن، وابن عمه الفقيه الكتبي الفاضل الأديب السيد البشير ابن الحاج أحمد ابن الحاج محمد الغماز الأندلسي أحد الفضلاء الأخيار حفظه الله .

بيت أولاد وجان

من أعيانهم عامل أسفى السيد عبد الرحمن وجان كان عامل أسفى سنة ١١٤٧ .

والناظر الأجل السيد عبد الرحمن بن العباس وجان، كان متولياً النظر فى أوقاف المساجد سنة ١١٤٣ . ولست أدرى هل الذى قبله أو غيره .

بيت التزيتيين

من أعيانهم الفقيه العدل عامل أسفى الحاج محمد بن أحمد التزيتي كان متولياً أمر أسفى سنة ١١٨٨ .

والقائد الحسن التزيتي من أهل صدر القرن الثالث عشر .

ويوجد الآن منهم السيد عمر بن المكى التزيتي .

بيت أولاد ابن عزوز

أوليتهم من آل غيات عبدة من أعيانهم الفقيه العدل الكاتب الأمين السيد محمد ابن الحاج عبد الرحمن عزوز الغياثي ثم الأسفى عامل أسفى ذو السيطرة الحادة المتوفى سنة ١٢٧٢ .

ويوجد الآن منهم التاجران الشهيران السيد عبد الرحمن والسيد التهامى ابنا الحاج أحمد بن المكى ابن الحاج عبد الرحمن بن عزوز كلاهما أحد الأعيان وفقهما الله .

بيت أولاد كوار

أوليتهم من آيت باعمران من حفدة سيدى سليمان تيمت من فخذ أراوسكم .

أول قادم منهم على أسفى الإخوان الفقير بلعيد والحاج عبد الله ابنا إبراهيم بن داود بن مبارك بن الحسن بن محمد وكتبا شهادة بإقرارهما بهذا النسب سنة ١١٣١ .

من أعيانهم الرئيس الشهير الفلاح الحاج إبراهيم ابن الحاج أحدم ابن الحاج عبد الله المتوفى بعد سنة ١٢٥٦ .

ولده الفاضل الناظر الفلاح الحاج عبد القادر بن الحاج إبراهيم كوار تولى النظر فى أوقاف المساجد فسار سيرة حسنة توفى سنة ١٣١٩ .

ولده الفلاح المثرى الحاج محمد الغنيمى كوار تولى خطة أبى المواريث وكان أحد الملاكين والفلاحين توفى سنة ١٣٥١ عن ولده التاجر السيد محمد حفظه الله .

والرئيس الوجيه الحاج عبد الرحمن ابن الحاج المحجوب ابن الحاج
إبراهيم كوار تولى وكالة الغياب وخطة الموارث وكان ذا فضل وصدق لهجة
رحمه الله .

بيت أولاد دويلة

أوليتهم من صنهجة - من أعيانهم الناظر الحاج الهاشمى بن الطيب
امشكل به عرف كان متولياً النظر فى أوقاف السور سنة ١٢٦٣ .
والفقيه الواعظ السيد محمد بن الطيب دويلة كان حياً سنة ١٢٥٥ -
والتاجر الرئيس الوجيه السيد علال بن الحاج محمد بن التهامى دويلة كان أحد
الفضلاء الأعيان تعاطى من العلم ما شاء الله وخطب بالجامع الفوقانى مدة
نيابة عن الفقيه أبى زيد المطاعى وتولى قبل ذلك الخلافة عن عامل آسفى ،
توفى رحمه الله سنة ١٣٥٠ عن ولده السيد محمد أصلحه الله .

بيت التريكيين

من أعيانهم الفقيه العلامة مفتى الصقع أبو عبد الله السيد محمد بن
أحمد ابن الحاج الهاشمى ابن الحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز التريكى
صاحب التأليف والفتاوى المحررة المتوفى سنة ١٣٤٤ رحمه الله عن عدة أولاد
من أعيانهم التاجر الشهير السيد محمد والتاجر الأرضى السيد عبد الرحمن
والسيد أحمد والسيد الحبيب والسيد إدريس وغيرهم أصلحهم الله .

بيت أولاد ابن جلول

من أعيانهم العدل البركة الحاج محمد ابن الحاج أحمد بن جلول المتوفى سنة ١٢٦٧ .

ولده الفقيه السيد أحمد المتوفى سنة ١٢٧٥ .

والعدل الفاضل السيد أحمد بن جلول المتوفى سنة ١٢٥٥ .

والأمين الشهير السيد حم بن أحمد بن جلول أحد الأعيان الفضلاء كان متولياً خطة الأمانة بمرسى أسفى حوالى سنة ١٢٦٠ .

بيت أولاد باجدوب

أوليتهم من الأندلس - من أعيانهم الناظر الحاج عبد السلام باجدوب المدعو المغور كان متولياً النظر فى أوقاف المساجد سنة ١٢١٣ .

ولده الناظر الوجيه السيد أحمد ابن الحاج عبد السلام المتوفى سنة ١٢٣٦ .

ولده الفاضل العدل السيد الطيب باجدوب كان عدلاً سنة ١٢٥٧ .

ويوجد الآن من هذا البيت الصانع المجيد فى النجارة المعلم الجيلالى ابن الحاج محمد بن عبد السلام ابن الحاج أحمد بن عبد السلام باجدوب من خيار الناس حفظه الله .

بيت القليعيين

أوليتهم من أسرة أندلسية - من أعيانهم الفقيه الأستاذ السيد أحمد بن على بن سعيد القليعى الأندلسى الأسفى المتوفى حوالى سنة ١١٥٠ .

والفاضل السيد عبد الله القليعى المدعو الكبريت زوج الولىة الصالحة السيد رقية أم على المتوفى قبل سنة ١١٨٠ .

والفقيه المهندس الحاج عبد القادر بن الحاج علال بن الحاج محمد بن محمد بن على القليعى كان ذا معرفة بالهندسة والحساب رحل للمشرق حوالى منتصف القرن الماضى فلم يوقف له على أثر .

ويوجد الآن من هذه العائلة الحاج محمد بن محمد بن عبد السلام ابن الحاج محمد القليعى وابن عمه السيد محمد ابن الحاج أحمد بن عبد السلام المذكور كلاهما من أهل المروءة والدين كلاهما الله .

بيت المستاريين

أوليتهم من بنى مستارة بجبل العلم قدموا فى صحبة الشريف مولاى إدريس بن التهامى الوزانى صدر القرن الثانى عشر ولهم ذكر فى ظواهرهم بالتعظيم والاحترام .

من أعيانهم الناظر الحاج علال المستارى كان متولياً النظر فى أوقاف المساجد سنة ١١٧٣ كسنة ٨٣ بعده .

ويوجد الآن من أعيانهم الفقيه النبيل العدل الوجيه السيد عبد السلام ابن الحاج علال بن محمد ابن الحاج علال المستارى من خيار أهل العلم

والفضل أخذ العلم بأسفى عن أهله ورحل لفاس فأخذ عن أهلها أيضاً وهو الآن فى سلك العدول وفقه الله .

بيت أولاد الراشدى المدعو أهله بأولاد العفو

من أعيانهم الفقيه الأرضى الحسيب الأديب الحاج على بن عزوز الراشدى المتوفى قبل سنة ١١٦٦ .

ولده الفقيه الأنجب الأمين الأجل الحاج محمد بن على الراشدى أمين المستفاد فى دولة السلطان سيدى محمد ابن عبد الله المتوفى سنة ١١٨٠ .

ولده الأمين الوجيه الحاج عبد الله بن الحاج محمد بن على الراشدى تولى الأمانة فى محل والده بالكتاب المؤرخ بسنة ١١٨٠ - وكان له ولإخوانه حرمة ووجاهة عند السلطان .

الوجيه الفاضل السيد محمد بن عبد الله ابن الحاج محمد كان أحد الأعيان فى دولة المولى عبد الرحمن وله منه ظهير مؤرخ بسنة ١١٥٥ بالتوقيع والإجلال .

والفقيه الجليل المدرس التاجر الحاج محمد بن التهامى العفو به عرف المتوفى سنة ١٣٢٣ .

بيت أولاد مرحبو

أوليتهم من أسرة أندلسية - من أعيانهم الفقيه العدل الموثق المعتنى السيد التهامى بن محمد ابن الحاج قاسم مرحبوا به عرف الأندلسى الأسفى كان حياً سنة ١١٩١ .

والطبيب السيد أحمد مرحبو كان ذا معرفة بالطب توفى صدر هذا القرن.

بيت أولاد ابن عاشور

من أعيانهم عمر بن شوخان أحد البعثة التي أرسلها المولى الحسن لباريز لأخذ الهندسة والحساب والجغرافيا وكان رجلاً فاضلاً ذا جمال بارع رحمه الله.

والفقيه التاجر السيد علال بوعصيدة ابن الحاج محمد بن عاشور أخذ العلم بأسفى ورحل لمراكش ثم تعاطى التجارة إلى أن توفى سنة ١٣٤٧هـ.

بيت أولاد حيدة أهل سوس

من أعيانهم العدل الوجيه السيد أحمد المدعو حيدة ابن الحاج محمد بن عدى كان حياً عدلاً سنة ١٢٠٨.

والفاضل الكاتب الحسن الخط السيد عبد السلام المدعو عيسمو ابن الحاج محمد بن عبد السلام بن محمد بن حيدة المتوفى سنة ١٣٤٦ عن ولديه التاجر الأرضى الفاضل السيد محمد والأديب السيد إدريس وفقهما الله. وتوجد عائلة أخرى تعرف بأولاد حيدة وهم من عبدة.

بيت أولاد يعزى الإيلايين

أوليتهم من إيلا القبيلة المشهورة حول تارودانت من سوس ولا أعلمهم إلا أنهم هم البعثة التي أرسلها محمد الشيخ بن زيدان لحماية آسفى .
وذلك أن آسفى فى منتصف القرن الحادى عشر قد انتابتها نوائب من أهمها القحط والموت الذريع فضعفت الحامية بها فجعل آل غياث يتخطفون الناس جوانب السور فاستغاث أهل آسفى بالسلطان المذكور، فجاء بنفسه فأدب آل غياث ولما رجع لمراكش أرسل بعثة مؤلفة من مائة رام معها قافلة تحمل ثمانين غرارة من الشعير مؤنة البعثة وكان وصولها يوم الأربعاء ٢٨ شوال ١٠٦٢ فحيث إن أولاد يعزى أهل البستيون من إيلا . وإيلا إذ ذاك فى حكومة السلطان المذكور فإنه يغلب على الظن أنهم هم، ومقرهم الحصن المعروف بالبستيون سمي بذلك لبرج كان فيه على شاطئ البحر شمال آسفى وكانت خطتهم أخيراً حراسة البحر ومراقبة ما يظهر من المراكب أو القراصين الأجنبية وكان لم راتب شهري من مستفاد المرسى . وكانوا تحت نظر والى آسفى وفى دولة السلطان المولى إسماعيل فصلهم عن صاحب آسفى واستعمل عليهم رجلا منهم يقال له بلاوبر جمعة بالكتاب المؤرخ بـ ١١٢٠ .

ومن أعيانهم الطيحي السيد محمد بن المؤذن كان أحد المهرة فى إجادة الرمي بالمهراس وغيره حضر مع السلطان المولى عبد الرحمن حصار زاوية الشراى وأبلى فيها إلا أنه أصيب ببقية كانت فى مهراسه رجعت عليه فحمل لآسفى ومات فى الطريق سنة ١٢٤٤ .

ولده السيد عبد القادر المدعو قدور قادة كان أحد الرماة المشهورين ذا دعابة وفكاهة كانت له منزلة عند السلطان والوزراء وتوفى سنة ١٢٨٥ عن

ولده الحاج لعربى قادة كان متوليًا قيادة الطيحية مقام والده وتوفى سنة ١٣١٣
عن ولده الفاضل الحاج المختار بن العربى قادة له إمام بخطة سلفه ولا يزال
بقيد الحياة وفقه الله .

والفاضل الأمين الوديع السيد سلام بن الحاج محمد يعزى أحد
المجيدين فى صنعة البناء وكان أمينهم فى القديم ورئيسهم .

ومن قبيل الإيلالين الأستاذ الناصح السيد محمد بن الهاشمى إيللو،
كان أحد الأساتذة المتميزين بأحسن أساليب التعليم الابتدائى توفى حوالى سنة
١٣٣٠ .

ولده الفقيه النبيه الأديب السيد أحمد بن محمد إيللو أحد النجباء
المتعلقين بأهداب الطلب بارك الله فيه .

بيت أولاد أخزام

من أعيانهم الحاج أبو زيد بن أحمد أخزام وتولى النظر فى أوقاف
المساجد سنة ١٢٩٠ - وتوفى حوالى سنة ١٣٢٠ .

والحاج صالح بن أحمد أخزام المتوفى سنة ١٣٣٥ .

والسيد دحمان بن محمد أخزام كان من أهل الفضل وسخاوة النفس
وفعل المعروف توفى صدر هذا القرن .

ولده العدل الوديع السيد أحمد بن دحمان .

بيت رجراجة

نكتفى عنه بما سطرنا، فى كتاب الياقوتة الوهاجة فى مفاخر رجراجة.

بيت أولاد الغزوى

أوليتهم من غزاوة القبيلة المعروفة.

من أعيانهم الفقيه الحاج محمد الغزوى وولده العدل السيد أحمد كان عدلاً سنة ١٢٥٧.

ويوجد الآن من أبنائهم التاجران السيد محمد والسيد عبد السلام ابنا السيد بناصر بن عبد السلام بن أحمد ابن الحاج محمد الغزوى حفظهما الله. وتوجد بيوتات أخرى مبسوطة فى الأصل.

الحالة العلمية والأدبية

لم يتأد إلينا العلم بالحالة العلمية بهذا القطر فى صدر الإسلام إلا فى أواخر القرن الخامس الهجرى إلا ما كان من عقبه بن نافع الفاتح العظيم فإنه لما فتح المغرب سنة ٦٢هـ ترك به جماعة من أهل العلم يعلمون القرآن وشرائع الدين منهم شاكر وغيره كما صرح بذلك البكرى. وساكر رباطه سهير ببلد حمير حوز آسفى.

كما كان الرجال السبعة من رجراجة فى تلك القرون الأولى حاملين راية الإسلام ولم يزل الملوك يبعثون البعثات العلمية لبث الدين والعلم.

نعم كان من أسباب غموض الحالة أمران أحدهما عدم العناية بالتاريخ وثانيهما ابتلاء هذا القطر بداء الطائفة البرغواطية المدعية للنبوذة التي أرغمت الناس على التدين بديانتها الخسيسة التي كانت مجرد شعوذة على الناس ناضلت عنها بالسيف فسفكت الدماء وخربت البلاد حتى أنه كان بين شالة وماسة ٣٠٠ مدينة فأكثر كان نصيبها التخريب والتدمير . وكان ابتداء أمرهم سنة ١٢٤هـ وانتهاه سنة ٤٥٤ . فكانوا عرقلة لسير العلوم والفنون وسائر مناحى الحياة فلم تكن حياة أهل هذه البلاد مستقرة على حال ولا سائرة على وتيرة واحدة، وحيث كان لأمرء الإسلام معهم مواقف وحروب طاحنة يضعفون لأجلها مرة ويقوون أخرى حتى جاء الله بالدولة المرابطية فكانت بين الفريقين حروب فاصلة انتهت بقطع دابرهم وإراحة البلاد والعباد من شرهم .

الدولة اللمتونية وأثارها فى المعارف

اجتمعت لها مملكة المغرب بجميع أقسامه فى منتصف القرن الخامس الهجرى واستؤصلت شأفتها بالمره سنة ٥٤١هـ عدة ملوكها خمسة يوسف بن تاشفين توفى سنة ٥٠٠هـ - ولده على بن يوسف بيعته يوم وفاة والده - وفاته سنة ٥٣٧ - تاشفين بن على بيعته يوم وفاة والده - وفاته بوهران سنة ٥٣٩ - إبراهيم بن يوسف ببيع بعد وفاة سابقه ثم خلع لعجزه - إسحاق بن على ببيع بعد خلع سابقه وعليه كان انقراض دولتهم سنة ٥٤١هـ .

كان يوسف بن تاشفين محباً للعلم وأهله صادراً عن أمرهم مغدقاً عليهم الإنعام فلا يقطع أمراً دونهم بل رد هو وولده على جميع الأحكام إلى الفقهاء .

قال الشيخ محيي الدين في المعجب أنه انقطع إليه من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولولده من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار ولم يكن يقرب منه ويحظى عنده إلا من علم الفروع فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب (المالكي) وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها فكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتنى بهما كل الاعتناء هـ (١).

وقد كانت آسفى فى دولتهم فى طور التأسيس وعلى ما يعلم من القرب من عاصمتهم فلا غرو ينالها قسط من المعارف لا سيما وهم الذين عمروها وانتشلوها من وهدة السقوط.

الخليفة	الولاية	الوفاة
يوسف بن تاشفين	٥٠٠	٥٠٠
ابنه على	٥٠٠	٣٧
ابنه تاشفين	٥٣٧	٥٣٩
عمه إبراهيم	٥٣٩	ثم خلع
أخوه إسحق	٥٣٩	٥٤١

(١) تبعيتهم لمذهب مالك فى ذلك العصر لم يكن عن محض تقليد، بل كان عن بصيرة ومعرفة لأقواله المرتكزة على السنة والكتاب وأقوال السلف وكونه لم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتنى بالكتاب والسنة - هذا من المبالغات وإلا فقد كانت جماعة معتنية بهما ويكفى أن نذكر فى طليعتهم القاضى عياضاً والله الموفق.

الدولة الموحدية وآثارها فى العلوم والمعارف

انتصبت الدولة الموحدية على أنقاض الدولة اللمتونية فى منتصف القرن الخامس الهجرى، وكان انقضاء مدتها سنة ٦٦٧ - وعدة ملوكها ١٣ ملكاً - عبد المؤمن بن على اجتمع له ملك المغرب سنة ٥٤١ - وفاته سنة ٥٥٨ - يوسف بن عبد المؤمن بيعته سنة ٥٥٨ . وفاته سنة ٥٨٠ - يعقوب بن يوسف بيعته ٥٨٠ - وفاته سنة ٥٩٥ - محمد الناصر بيعته سنة ٥٩٥ - وفاته سنة ٦١٠ - عبد الواحد بن يوسف بيعته عام ٦٢٠ - يحيى بن محمد الناصر بيعته سنة ٦٢٤ - وفاته سنة ٦٣٣ - إدريس المدعو المأمون بيعته سنة ٦٢٤ - وفاته سنة ٦٢٩ - عبد الواحد الرشيد بيعته سنة ٦٣٠ - وفاته سنة ٦٤٠ - على بن إدريس بيعته سنة ٦٤٠ - واته سنة ٦٤٦ - عمر المرتضى بيعته ٦٤٦ وفاته سنة ٦٦٥ - أبو دبوس إدريس بيعته ٦٦٥ - وفاته سنة ٦٦٧ - وعليه انقرضت دولتهم .

كانت هذه الدولة دولة حضارة وتمدن تقدمت العلوم والمعارف فيها شوطاً بعيداً وعم الترقى جميع مناحى الحياة فنشطوا المشاريع الحيوية وأغدقوا على العلماء الأرزاق وأسبغوا عليهم الأعام واستجلبوهم لحضرتهم من أقاصى البلاد ونفق سوق العلوم الشرعية والأدبية والفلسفية وكانت مجالسهم منتديات علمية أدبية يتجادبون فيها سبيل العلم ويطارحون العلماء بأنفسهم أو يستنبون من يطرح مسائل العلم حتى لم ير المغرب قبلهم ولا بعدهم كعصرهم .

وفى دولتهم تحضرت آسفى وعمرت وسورت بسور متين وبنيت بها المعاهد الدينية والعلمية وانبتق بها روح المعارف والعلوم ونبغ فى دولتهم من علماء آسفى وما إليه الشيخ الإمام أبو محمد صالح الماجرى المتوفى سنة ٦٣١

وأولاده الشيوخ الأئمة تلميذه العلامة النظار الأصولي النحوي أبو الحسن على ابن مسعود الرجرجي مؤلف مناهج التحصيل فيما للأئمة على المدونة من التأويل.

والشيخ الإمام أبو عبد الله سيد محمد أمغار الكبير وأولاده الشيوخ الذين سارت بذكرهم الركبان وصارت زاوية تيط مركز علم ودين تدرس فيها العلوم الشرعية. والإمام المتفنن أبو عبد الله محمد بن شعيب الدكالي الهسكوري نزيل تونس والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن ياسين الرجرجي وغيرهم.

الوفاة	البيعة	الخليفة
٥٥٨	٥٤١	عبد المؤمن بن علي
٥٨٠	٥٥٨	يوسف بن عبد المؤمن
٥٩٥	٥٨٠	يعقوب بن يوسف
٦١٠	٥٩٥	محمد الناصر بن يعقوب
٦٢٠	٦٠٩	يوسف بن محمد الناصر
ثم خلع	٦٢٠	عبد الواحد بن يوسف
٦٢٤	٦٢١	عبد الله بن يعقوب
٦٣٣	٦٢٤	يحيى بن الناصر
٦٢٩	٦٢٤	إدريس المأمون
٦٤٠	٦٣٠	عبد الواحد الرشيد

الوفاة	: البيعة	الخليفة
٦٤٦	٦٤٠	على بن إدريس
٦٦٥	٦٤٦	عمر المرتضى
٦٦٧	٦٦٥	أبو دبوس

الدولة المرينية وآثارها في المعارف

استولت هذه الدولة على المغرب الأقصى في منتصف القرن السابع الهجرى على أنقاض الدولة الموحدية، وبسطت نفوذها على طرف من الأندلس وإذ أقوى سلطانها يمتد إلى المغرب الأوسط تارة والأدنى أخرى وعدة ملوكها ٢٢ ملكاً - يعقوب بن عبد الحق المريني اجتمعت له مملكة المغرب سنة ٦٦٧ - وفاته سنة ٦٨٤ - يوسف بن يعقوب بيعته سنة ٦٨٥ وفاته سنة ٧٠٦ - عامر بن عبد الله بيعته سنة ٧٠٦ - وفاته سنة ٧٠٨ - سليمان بن عبد الله بيعته سنة ٧٠٨ - وفاته سنة ٧١٠ - عثمان بن يعقوب بيعته سنة ٧١٠ - وفاته سنة ٧٣١ - أبو الحسن عى بن عثمان بيعته سنة ٧٣١ - وفاته سنة ٧٥٢ - أبو عنان فارس بن على بيعته في حياة والده - وفاته سنة ٧٥٩ - أبى زيان محمد بن أبى عنان بيعته في حياة والده ثم خلع وخنق - أبو بكر بن أبو عنان بيعته في حياة والده - وفاته غريقاً بعد سبعة أشهر وعشرين يوماً. إبراهيم بن على بيعته سنة ٧٦٠ - وفاته سنة ٧٦٢ - تاشفين بيعته سنة ٧٦٢ وفاته بعد ثلاثة أشهر. محمد بن يعقوب بيعته بعد سابقة وفاته سنة ٧٦٧ - عبد العزيز بن أبى الحسن بيعته سنة ٧٦٧ - وفاته سنة ٧٧٤ - محمد بن عبد العزيز بيعته سنة ٧٧٤ - خلعه سنة ٧٨٦ - أحمد بن إبراهيم بيعته الأولى

سنة ٧٧٥ - خلعه سنة ٧٨٦ - موسى بن أبي عنان بيعته سنة ٧٨٦ وفته سنة ٧٨٨ - محمد بن أبي العباس بيعته سنة ٧٨٨ خلعه بعد عشرة أشهر - بيعة أحمد بن إبراهيم الثانية سنة ٧٨٩ - وفاته سنة ٧٩٦ - عبد العزيز بن أبي العباس بيعته بعد وفاة والده وفاته سنة ٧٩٩ - عبد الله بن أبي العباس بيعته سنة ٧٩٩ - وفاته سنة ٨٠٠ - أبو عسيد بن أبي العباس بيعته سنة ٨٠٠ - وفاته سنة ٨٢٣ - عبد الحق بن أبي السعيد وفاته سنة ٨٦٩ - وعليه انقضت دولتهم .

كانت دولتهم من أجمل الدول في التمدن والحضارة انبثق في دولتهم نور المعارف والعرفان فشيّدوا المدارس وعمروا رباع العلم وأوسعوا للعلماء في الجرابات وأسبغوا عليهم النعم فنضجت العلوم والآداب وأينع ثمارها وبالأخص في دولة أبي الحسن بن أبي سعيد وولده أبي عنان حيث بلغت الدولة منتهى سطوتها وعظمتها من جميع مناحى الحياة .

فأنشأ أب الحسن المدارس بجميع بلاد المغرب كفاس وتاذا ومكناس وسلا وطنجة وسبتة والدار البيضاء وأمور وآسفي ومراكش واغمات والقصر الكبير وتلمسان والجزائر وغيرها وكلها مشتملة على المباني العجيبة والصنائع الغريبة وحبس عليها أعلام الكتب وأجرى عليها المرتبات على الطلبة والقومة والإمام والمؤذن والناظر والشهود والخدام وأرصد لها الأوقاف التي تحفظ أودها وغير ذلك كما نبه عليه ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن في مآثر السلطان أبي الحسن .

وأما ولده أبو عنان فكان لا يقصر عن درجة والده في إنهاض العلم وتخليد الآثار وترقية شؤون الحياة كان يجلب العلماء لحضرته ويعقد لهم

مجالس المناظرة فى التفسير والحديث ويحضر بنفسه ويلقى أبحاثاً رائقة ووكل بدور فقهاء حضرته امرأة تتعرف ما يخصهم من غير أن يحسب الفقهاء لذلك أى حساب فتفرغوا لنشر العلم وبثه فعمرت المدارس العلمية والمعاهد الدينية واستنارت سبل الهدى والرشاد.

وقد بلغت آسفى فى عصرهم فى الحضارة شوطاً بعيداً الشىء الذى سوغ لابن خلدون فى ذلك الأوان أن يطلق عليها (حاضرة البحر المحيط) وأسست بها المدرسة والمستشفى وهما عنوان الحضارة وروح الحياة وهذان الأثران قد اندثرا باستيلاء البرتغال على هذا البلد.

أما ناحيتها فقد قال الزيانى نقلاً عن السائح القسطنطينى أنه وجد بدكالة خمسة وعشرين مدرسة.

وقد نبغ فى دولتهم من علماء هذا القطر الفقيه العلامة الميقاتى أبو زكرياء يحيى بن محمد بن أبى محمد صالح الماجرى الآسفى كان من ذوى المشاركة فى الفنون توفى سنة ٦٨٤ - والفقيه المحدث الأديب الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبى محمد صالح الماجرى مؤلف المنهاج الواضح فى مآثر أبى محمد صالح - والشيخ المتفنن الرحالة القاضى أبو عبد الله محمد بن سعيد الهنائى قاضى دكالة وآزمور صاحب التأليف البارعة منها معتمد الناجب فى إيضاح مبهمات ابن الحاجب وكتر الأسرار ولواقح الأفكار فى الجغرافية والهيئة وغيرها توفى أواخر المائة الثامنة - والفقيه الأديب مقيم رسم المارستان بآسفى أبو الضياء منير بن أحمد الهاشمى الجزيرى كان حياً سنة ٧٦١ - والفقيه الإمام المتفنن أبو عمران موسى بن أبى على الزناتى الأزمورى الدكالى المنشأ والوطن المراكشى النزل والوفاة له شرح

الموطأ والمدونة والمولد النبوي توفي بمراكش سنة ٧٠٢، والفقيه المحدث الرحالة الأديب المؤرخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معاوية الأزموري مؤلف شرح الشفا المسمى إيضاح اللبس والخفا عن ألفاظ الشفا المتوفى بعد سنة ٨٠٨ والشيخ الإمام الورع المرشد أبو زيد عبد الرحمن بن إلياس الرجرجي المدعو بأبي زيد وإلياس صاحب كتاب الرسالة في تعداد نعم الله على العباد وإرشادة إلى القيام بشكرها - والإمام الأصولي المقرئ أبو علي حسين بن طلحة الرجرجي الشوشاوي ذو التأليف النافعة منها كتاب الفوائد الجليلة على الآيات الجليلة في علوم القرآن، وتنبيه العطشان على مورد الظمان في رسم القرآن، ورفع النقاب عن تنقيح الشهاب يعني تنقيح الفرائق وغير ذلك من آثاره الجليلة، وكانت وفاته آخر المائة التاسعة.

الوفاة	البيعة	الخليفة
٦٨٤	٦٦٧	يعقوب بن عبد الحق
٧٠٦	٦٨٥	يوسف بن يعقوب
٧٠٨	٧٠٦	عامر بن عبد الله
٧١٠	٧٠٨	سليمان بن عبد الله
٧٣١	٧١٠	أبو سعيد عثمان بن يعقوب
٧٥٢	٧٣١	أبو الحسن علي بن أبي سعيد
٧٥٩	في حياة والده	أبو عنان بن أبي الحسن
٧٥٩	في حياة والده	أبو زيان بن أبي عنان

الوفاة	البيعة	الخليفة
٧٥٩	في حياة والده	أبو بكر بن أبي عنان
٧٦٢	٧٦٠	إبراهيم بن علي
٧٦٢	٧٦٢	تاشفين
٧٦٧	٧٦٢	محمد بن يعقوب
٧٧٤	٧٦٧	عبد العزيز بن أبي الحسن
٧٨٦ خلع	٧٧٥	أبو العباس بن إبراهيم
٧٨٨ خلع	٧٨٦	موسى بن أبي عنان
٧٨٨ خلع	٧٨٨	محمد بن أبي العباس
٧٨٨	٧٨٨	أبو زيان بن أبي الفضل
٧٩٦	٧٨٩	أبو العباس السابق
٧٩٩	٧٩٦	عبد العزيز بن أبي العباس
٨٠٠	٧٩٩	عبد الله بن أبي العباس
٨٢٣	٨٠٠	أبو سعيد بن أبي العباس
٨٦٩		عبد الحق بن أبي سعيد

الدولة الوطاسية وآثارها

هذه الدولة فرع عن المرينية وهم وزراؤها فلما هدمت المرينية واعتراها الخلل انتصب وزراؤها الوطاسيون على أنقاضها فكانوا مثال الانحطاط

والتقهقر إذ في دولتهم دهم المغرب بالبرتغال فاستولى على جل شواطئه زيادة على ما حل بالأمة المغربية من نزاع وشقاق وفساد في الأخلاق والدين فكان المغرب في ضحضاح من الفتن داخلياً وخارجياً وخصوصاً هذا القطر الآسفى الذى انتصب عليه البرتغاليون فطمسوا محسانه وهدموا معالمه فلم يكن فيه كبير أثر فى العلوم - وزاد الطين بلة عدة العناية بالتاريخ عدد ملوكهم أربعة - محمد الشيخ بن أبى زكرياء الوطاسى بيعته سنة ٨٧٦ وفاته سنة ٩١٠ - محمد بن محمد الشيخ المدعو البرتغالى بيعته سنة ٩١٠ - وفاته سنة ٩٣١ - أبو حسون على بن محمد الشيخ بيعته سنة ٩٣١ - ثم خلع ثم رد للملك - وفاته سنة ٩٦١ - أحمد بن محمد الشيخ آخر سنة ٩٣١ - وأسر فى حروب السعديين سنة ٩٥٦ - وانقرضت دولتهم الضعيفة الأنفاس بموت أبى حسون سنة ٩٦١ .

الوفاة	البيعة	الخليفة
٩١٠	٨٧٦	محمد بن الشيخ
٩٣١	٩١٠	ابنه محمد
٩٦١	٩٣١	أخوه على
أسر ٩٥٦	٩٣١	ابن أخيه أحمد

الدولة السعدية وآثارها فى العلوم والآداب

امتد سلطانها على سوس الأقصا صدر القرن العاشر ونشأ تدريجاً حتى صفا لها المغرب سنة ٩١ - وتقلص ظلها بالمرّة سنة ١٠٦٩ - عدة ملوكها ١١

ملكاً - أبو العباس أحمد بن محمد القائم السعدى الحسنى بيعته سنة ٩١٨ ،
ثم خلع سنة ٩٥١ - محمد المهدي المدعو الشيخ بيعته سنة ٩٥١ ، وفاته سنة
٩٦٤ - الغالب عبد الله بيعته سنة ٩٦٤ ، وفاته سنة ٩٨١ - محمد بن عبد
الله بيعته سنة ٩٨١ ، خلع بعد ثلاث سنين - عبد الملك بيعته سنة ٩٨٣ -
وفاته سنة ٩٨٦ - أحمد المنصور بيعته سنة ٩٨٦ ، وفاته سنة ١٠١٢ - زيدان
بيعته سنة ١٠١٢ ، وفاته سنة ١٠٣٧ - عبد الملك بن زيدان بيعته سنة ١٠٣٧ -
وفاته سنة ١٠٤٠ - الوليد بن زيدان بيعته سنة ١٠٤٠ ، وفاته سنة ١٠٤٥ -
محمد الشيخ بن زيدان بيعته سنة ١٠٤٥ وفاته سنة ١٠٥٦ - أبو العباس
بيعته سنة ١٠٥٦ ، وفاته سنة ١٠٦٩ ، وعليه انقرضت دولتهم .

هذه الدولة قد تداركت أمر المغرب وطهرت أرجاءه وأعدت الملك
لنصابه لكن لا على نسبة حالته السالفة .

وكان واسطة عقدهم أحمد المنصور نضحت فى دولته العلوم والمعارف
وازدهرت رياضها وأينع ثمارها فقرب العلماء وأغدق عليهم الأنعام فكان
عصره من أزهر العصور، ألفت فيه التآليف وصنفت لأجله التصانيف من
مختلف الفنون والتفسير والحديث والفقه والنحو والتاريخ والآداب وكان جل
كتابه ووزرائه وأرباب أعماله أدباء له معهم مساجلات ومطارحات إلا أنه
بالأسف كانت تلك النهضة قصيرة العمر إذ بموت المنصور طمس أولاده ما
كان من محاسن وهدموا ماله من مآثر وصبوا على المغرب داء التفرق واشقاق
فظل المغرب ميدان فتن وتطاحن على الرياسة أتت على الأخضر واليابس حتى
جاء بالسلطان المولى الرشيد فرد المياه لمجاريها وأثبت الأمور فى نصابها .

كان السعديون قد استخلصوا أسفى وما إليه من مخالب البرتغال

وعمره بأهله وغيرهم وشيدوا به المعالم الدينية ولعرفانية ورقوه من جميع
مناحيه الحيوية .

وقد نبغ في دولتهم من علماء هذا القطر جماعة كالفقيه العلامة أبي
موسى بن محمد الماجرى الأسفى أحد أفراد الأئمة ومن ذوى الوجاهة
والرئاسة وحفيده الخطيب الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبى موسى
المتوفى سنة ١٠٧١ - والعلامة الصدر الخطيب أبى عبد الله محمد بن إبراهيم
الماجرى الأسفى والفقيه العلم المنير أبى الحسن على بن إبراهيم الأسفى التوفى
سنة ١٠٥٣ - والعلامة الكبير أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن الأسفى
المتوفى سنة ١٠٥٣ - وأبى الحسن على بن منصور الشىظمى أحد قواد
المنصور الفقيه المتفنن الأديب البارع ذى النظم الرائق والنثر الفائق - وأبى
العباس أحمد بن سليمان الشىظمى أحد شعراء المنصور وكتابه له مقطعات
شعرية كان حياً سنة ٩٩٩ .

الوفاة	البيعة	الخليفة
٩٥١ خلع	٩١٨	أبو العباس أحمد الحسنى
٩٦٤	٩٥١	محمد المهدي
٩٨١	٩٦٤	الغالب عبد الله
خلع	٩٨١	محمد بن عبد الله
٩٨٦	٩٨٣	عبد الملك
١٠١٢	٩٨٦	أحمد المنصور
١٠٣٧	١٠١٢	زيدان

الوفاة	البيعة	الخليفة
١٠٤٠	١٠٣٧	عبد الملك زيدان
١٠٤٥	١٠٤٠	الوليد بن زيدان
١٠٥٦	١٠٤٥	محمد الشيخ
١٠٦٩	١٠٥٦	أبو العباس

الدولة العلوية وآثارها في المعارف

ثبت الملك في نصابها سنة ١٠٧٦ إلى الآن خلد الله ملكها وأدام عزها بعز الإسلام عدة ملوكها ١٨ ملكاً - المولى الرشيد ابن الشريف العلوي الحسنى بيعته الأولى سنة ١٠٧٥، وتم له الملك تدريجاً، وفاته سنة ١٠٨٢ - المولى إسماعيل بن الشريف الحسنى بيعته سنة ١٠٨٢، وفاته سنة ١١٣٩ - ولده أبو العباس أحمد الذهبي بيعته سنة ١١٣٩، خلعه سنة ١١٤٠ ثم أعيد وتوفي سنة ١١٤١ - عبد الملك بن إسماعيل بيعته ١١٤٠ - وفاته سنة ١١٤١ - المولى عبد الله بن إسماعيل بيعته ١١٤١، ثم خلع ورد نحو خمس مرات، وفاته سنة ١١٧١ - أبو الحسن على بن إسماعيل بيعته سنة ١١٤٧ ثم خلع - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بويغ بعد خلعه أخيه ثم خلع سنة ١١٥١ - المولى المستضىء بويغ بعد خلعه أخيه ثم خلع سنة ١١٥١ - المولى المستضىء بويغ بعد خلعه أخيه ثم اضطربت أموره - زين العابدين بيعته سنة ١١٥٣، خلعه بعد خمسة أشهر - المولى محمد بن عبد الله بيعته سنة ١١٧١، وفاته سنة ١٢٠٤ - المولى اليزيد بيعته سنة ١٢٠٤، وفاته سنة ١٢٠٦ - أبو الربيع المولى سليمان بيعته بعد أخيه، وفاته سنة ١٢٣٨ - المولى

عبد الرحمن بن هشام بيعته بعد عمه، وفاته سنة ١٢٧٦ - المولى محمد بن عبد الرحمن بيعته بعد والده، وفاته سنة ١٢٩٠ - المولى الحسن بن محمد بيعته بعد والده - وفاته سنة ١٣١١ - المولى عبد العزيز بن الحسن بيعته بعد والده، خلعه سنة ١٣٢٥ - المولى عبد الحفيظ بن الحسن بيعته بعد أخيه، تخليه سنة ١٣٣٠ - المولى يوسف بن الحسن بيعته بعد أخيه وفاته سنة ١٣٤٦ - سلطان عصرنا أبو عبد الله سيدى محمد بن يوسف بيعته بعد والده المقدس أيده الله ووفقه وقدس سلفه .

هذه الدولة وجدت المغرب فى القرن الحادى عشر يعانى من الفتن ألواناً ومن الأمراض الفتاكة به صنوقاً حيث انتصب كل رئيس على قمة جبل أو فى مدينة، ودعا لنفسه وحارب من خالفه فكان ذلك العصر عصر فوضى وفتن وأهوال كادت تذهب العلم بالضروريات فضلاً عن الكماليات حتى جاء الله بالسلطان الرشيد فأخذ العصا بيد من حديد وضرب بها على أيدي أولئك الدعاة فجمع الله به الشمل بعد التفريق ورتق به الفتق بعد التمزيق وتلاه السلطان المولى إسماعيل والمولى محمد بن عبد الله والمولى سليمان والمولى عبد الرحمن فمن بعدهم حاشا فترات كانت تخلل هذه المدة كأواسط القرن الثانى عشر حيث تنازع أولاد المولى إسماعيل على الملك ولعب عبيد الجيش فى ذلك دوراً خطيراً نشأ عنه تأخر محسوس .

وإلا فقد كان ملوك هذه الدولة ينشطون الحركة العلمية ويسنون لأهلها الجوائز ويرفعون شأن العلم فكان أدنى ما يعامل به قارئ القرآن أو الضارب من العلم بأدنى سهم أن يعظم ويحترم ولا يعامل بما تعامل الرعية من أداء المغارم وكان للحكومة بأسفى وضواحيه مدارس علمية منها ما هو من تأسيس

الدولة ومنها ما هو من تأسيس أمرائها وقوادها ورؤساء الزوايا فكان القواد والأمرء غالبهم يرون من الفخر تشييد المدارس العلمية والقرآنية على نفقاتهم وكانت كل زاوية من واجبه الديني مدرسة علمية قرآنية على نفقاتها أيضاً والدولة تعاملها بالإجلال والتوقير أو إسناد الجوائز.

الوفاة	البيعة	الخليفة
١٠٨٢	١٠٧٥	المولى الشيد بن الشريف
١١٣٩	١٠٨٢	أخوه أبو الفداء إسماعيل
١١٤١	١١٣٩	ابنه أحمد الذهبي
١١٤١	١١٤٠	أخوه عبد الملك
١١٧١	١١٤١	أخوه المولى عبد الله
خلع	١١٤٧	أخوه على
خلع ١١٥١		أخوه محمد
خلع		أخوه المستضى
خلع	١١٥٣	أخوه زين العابدين
١٢٠٤	١١٧١	المولى محمد بن عبد الله
١٢٠٦	١٢٠٤	ابنه اليزيد
١٢٣٨	١٢٠٦	أخوه أبو الربيع
١٢٧٦	١٢٣٨	ابن أخيه المولى عبد الرحمن
١٢٩٠	١٢٧٦	ابنه المولى محمد

الوفاة	البيعة	الخليفة
١٣١١	١٢٩٠	ابنه المولى الحسن
١٣٢٥ خلع	١٣١١	ابنه المولى عبد العزيز
١٣٣٠ تخليه	١٣٢٥	أخوه المولى عبد الحفيظ
١٣٤٦	١٣٣٠	أخوه المقدس مولانا يوسف
	١٣٤٦	ابنه سلطاننا سيدى محمد نصره الله وأيده

المدارس العلمية بأسفى

فى الدولة الإسماعيلية تأسست بأسفى مدرسة علمية سنة ١١٠٥ كما رأته بخط القاضى بوخريص وكان قاضى آسفى أبى محمد عبد الله وعامله العربى أمزاج مشرفين عليها حالة البناء وكان موقعها قرب المسجد الكبير. وهذه المدرسة جدها السلطان سيدى محمد بن عبد الله وقد اندثرت فلم يبق لها أثر.

وقد تأسست مدرسة أخرى سنة ١٢١٣ تحت رئاسة الرئيس أبى زيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى بإشراف عامله على آسفى القائد محمد بن الكاهية وهى الموجودة الآن بسماط العدول حذاء المسجد الكبير، وقد كنت ظننت أن هذه المدرسة هى السابقة حتى ظفرت بدفتر صائر الأحباس لسنة ١٢١٦ فما بعده، فإذا النفقة من إدارة الأحباس كانت تجرى على المدرسة الجديدة والقديمة فعلمت أنها غيرها وأن الاندثار إنما يسرع للقديمة دون الجديد غالباً.

وفى دولة السلطان المولى يوسف فتحت عدة مدارس ابتدائية على النهج
العصرى إحداها لأولاد المسلمين يتعلمون فيها لقرآن ومبادئ العربية واللغة
الفرنساوية وأخرى للفرنساويين فقط وأخرى لليهود.

المكاتب القرآنية

يوجد من المكاتب القرآنية بأسفى ما بين الأربعين إلى الخمسين مكتباً
لكنها فى عصرنا صارت قليلة الجدوى لكونها مقتصرة على حفظ القرآن
مجرداً وهو تقصير كبير؛ لأن المقصود من القرآن هو معرفة معانيه وأساره
الدينية والدنيوية والكونية ولا يتها ذلك إلا بمعرفة مبادئ العربية واللغة
والأدب العربى فإنه المفتاح لكنوز القرآن، فن أدخلنا على هذه المكاتب
إصلاحات بإدخال هذه العلوم العربية فإننا نكون قد حافظنا على القرآن العظيم
وظفرنا بكنوزه الخبأة فيه، وإلا فقد عصينا الله ورسوله وجنينا على أبنائنا
جناية لا تغتفر بجمودنا على لفظ القرآن فقط حتى يشب الصبى ويدخل طور
الرجول ولا علم لديه فيتشتت عليه عقله للتفكير فى أمور أخرى تدعوه إليها
طبيعة الشباب وبلوغ حد الرجولة فيصير أمرهم إلى شقاء ويعيشون جهالاً بما
انطوى عليه نحن لا ننكر فضيلة تلاوة الكتاب العزيز ولكن ليست التلاوة
هى المقصودة منه ولا هى الضالة المنشودة بواسطته.

بل يجب علينا أن نؤدب أبنائنا ونهذب أخلاقهم ونغذى أفكارهم
بالعلوم اللسانية جاعلين القرآن العظيم أولها ويكون ذلك تدريجياً بنظام يكفل
النجاح ولا يتها ذلك أيضاً إلا بتعدد الأساتذة فى المكاتب ليقوم كل واحد
بقسط من تلك العلوم وأن نأخذ من لم تكن فيه قابلية للعلم بتعليم الصنائع

والحرف النافعة وغيرها من العلوم الدنيوية التي لا حياة للأمم والشعوب إلا بها، وإذا لم نفتد بالكتاب والسنة وكل منهما يدعو لطرح الجمود والخمول - وللبروز لميادين الحياة المادية والأدبية - فهلا اقتدينا بالأمم الراقية في نهضتها الفكرية وحركتها الحيوية مما لا يمس بشعائر ديننا - فالعلم هو سعادة الأمم والشعوب والجهل داؤها وشقاوتها نسأل الله أن يوفق هذه الأمة إلى ما فيه رشادها.

خزائن الكتب العامة خزانة الجامع الأعظم

أوليتها - هذه الخزانة وليدة القرن العاشر فما بعده لأن البرتغال لما استولى على آسفى لم يبق لها آثاراً مادياً ولا أدبياً وما لم يدخل بأيديهم أكلته يد الفوضى والاختلاس وبعثرته يد الإهمال والإفبال زيادة على عبث سيول الأمطار بكثير من الكتب فلو كان سهم واحد لانتقيته ولكنه سهم وثنان وثالث .

كان ابتداء تأسيسها في الدولة السعدية بدليل وجود جزء من مشارق عياض فيها وعليه تجبيس القائد عبد الله سنة ١٠٠٣، وكانت في فاتح القرن الثانى عشر يشتري لها الكتب من وفر الأوقاف . ولما جاء دور السلطان سيدى محمد بن عبد الله اعتنى بها وحبس عليها مائة وسبعة وعشرين كتاباً، ثم تلاه أحد أركان دولته وهو القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى فأوقف عليها مائة وأربعة عشر كتاباً، وحبس عليه السلطان أبو الربيع عشرين كتاباً كما حبس غيرهم كتباً كالفقيه أبى العباس أحمد بن يعيش الخلفى العامرى والفقيه أبى

عبد الله السيد محمد الزيدى البعيرى والفقير السيد محمد بن المكى بن هيمة الأسفى وغيرهم، وقد وقفت على إحصائها صدر القرن الثالث عشر فكانت مائتين وثلاثة وثمانين كتاباً بعدما اختلست منها كتب عديدة فى دار قيمها إذ ذاك. وتبلغ الآن نحو الأربعمئة.

توجد فيها كتب التفسير والقراءات والحديث والفقه والعريية واللغة والأصلين والسيرة النبوية والبيان والتوقيت والمنطق والتاريخ والسياس والتصوف وغير ذلك.

وأغرب ما فيها سيرة الحافظ الشامى المسماة سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد بخط مشرقى تجزئة عشرة يوجد منها ستة فقط وسيرة الكلاعى المسماة بالاكْتفاء فى سيرة النبى والثلاثة الخلفاء فى تجزئة ستة ينقصها الأخير، وتوجد بشرح الإمام أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد السلام بنانى المسمى مغانى الوفاء فى ستة أجزاء ضخام فقد منها الأول والسادس، وكتاب مفاخر الإسلام وانتشار أمر النبى عليه السلام لأبى الحسن على بن مخلوف المكى بخط مغربى تجزئة ثلاثة فى مجلد واحد، وكتاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير للحافظ ابن سيد الناس اليعمرى بخط جميل مغربى.

حالتها الماضية

قد امتدت إليها يد الاختلاس فانتهبت الشىء الكثير الطيب منها تفسير ابن جزى والثعالبى والصفاقسى ولسان الميزان للحافظ والنجم الثاقب فيما للأولياء من مفاخر المناقب وكتاب المشاهير والأعيان وصحيح البخارى فى ٢٨

جزءاً مزخرفة بالذهب والعشرون التي من تجبيس أبي الربيع وغير ذلك زد على ذلك أنها بوجودها في المسجد الذي هو في مجرد سيول الأمطار فطالما عبثت بتلك الكتب وأفسدتها إفساداً فاحشاً ولما تفضى عن ذلك - القومة عليها ونقلوها لمحلاتهم الخصوصية كانت المفسدة مثلها أو أشد حيث صار من لم يتق الله يأخذ منها ما شاء، ولقد رأيت بخط القاضي بوخرىص أنه لما توفي قيمها صدر القرن الماضى الفقيه السيد أحمد واعزيز وكانت بداره فأخذ المختلسون جملة كتب وأزالوا من فهرستها ما يخص تلك الكتب، وهذا رمز لما وراءه.

كما أن نظامها أيضاً مختل ومضيع لكثير من الكتب وذلك أن من استعار كتاباً غاية أن يضع خط يده في دفتر عند القيم ويذهب بالكتاب من غير تحديد أجل ولا مطالبة من القيم أو غيره ولو طال الأمد حتى أنه كثيراً ما يموت المستعير فيبيع ورثته الكتاب أو يضيعونه.

حالتها الحاضرة

قد وقع الالتفات إليها في الجملة ووقع لبخث عن الكتب المستعارة فرد إليها البعض وضاع بعض آخر، ثم نقلت لبيت خاص بالمدرسة القديمة لما أصلحت - وقد جلبت إليها آلة لقتل السوس الذى كان أيضاً من أعظم آفاتها.

العلامة أبى حفص عمر بن مبارك الزيدى مؤلف كتاب الكوكب السانى فى النسب الكتانى .

والعلامة الأديب السيد التهامى الفاروقى صاحب كتاب الأقمار فى مناقب الأخيار وشارح بانة سعاد المتوفى سنة ١١٩٥ - والفقيه الإمام الميقاتى السيد الطاهر بن إبراهيم الحسنى المتوفى سنة ١٢١٤ - والإمام المفتى البارع أبى البعباس السيد أحمد بن محمد الأندلسى ثم الآسفى المدعو بابن المقدم المتوفى سنة ١٢٣٩ - والفقيه العلامة القاضى العدل أبى محمد بعد الخالق ابن إبراهيم المتوفى سنة ١٢٣٤ - والفقيه الميقاتى الحيسوبى أبى إسحاق السيد إبراهيم بن الطاهر الحسنى المتوفى سنة ١٢٦٤ - والفقيه الإمام مجدد حركة العلم بهذه البلاد السيد البشير بن الطاهر الحكيم الآسفى المتوفى سنة ١٢٩٦ - والإمام المحدث الرحالة السيد الطاهر بن محمد الحفيد المتوفى سنة ١٢٩٩ - والفقيه العلامة القاضى الكاتب البارع أبى عبد الله السيد محمد ابن الطيب ابن هيمة المتوفى سنة ١٣٠٠ - والعلامة الورع النفاع البركة أبى زيد السيد عبد الرحمن بن الحسن المطاعى المتوفى سنة ١٣٤٧ - والعلامة الأكتب الرحالة أبى العباس السيد أحمد بن على الصويرى الآسفى المتوفى سنة ١٣٣٥ شارح الهمزية والبردة وغيرهما - والفقيه الأديب مفتى الصقع أبى عبد الله السيد محمد بن أحمد التريكى المتوفى سنة ١٣٤٥ صاحب كتاب إرشاد النبیه إلى معانى التنبيه أى تنبيه ابن عباد على الحكم وكتاب دلالة المؤدبين على نكته المتعلمين فى التعليم الابتدائى .

الحالة العلمية فى الدور الأخير

فى الدور الأخير قد تدهورت الحالة العلمية والأدبية تدهوراً مريعاً وتكدرت مشاربها تكدرًا فاحشًا فأدبر الناس عن العلم وأقبلوا على الشهوات فخلت رباع العلم وقلت أشياعه وأنصاره، وسبب ذلك انحلال رابطة الأمة الإسلامية فى دينها وديناها وأخلاقها حتى بلغ التضعع بها أقصى درجة وتلونت لها المصائب وتعددت عليها النكبات فلم يزل ذلك السم يسرى فى جسمها شيئًا فشيئًا حتى الدور الأخير فسقطت بيد خاصتها من العلماء والولاة.

أما هذا الجنوب المغربى فإنه فى الدور الأخير وبالخصوص الدور العزيزى والفيظى عندما تقلص ظل السلطة - قد منى بعمال مستبدين فانصبوا على الرعية يرهقونها ظلمًا وجورًا ويمطرونها نهبًا وعسفًا فسفكت الدماء بسبب وبلا سبب .

فى ذلك الحين كانت البقية الباقية فى الزوايا والرباطات التى كانت تعامل من الملوك والأمة بالإجلال فانقض كثير من جبابرة السوء على تلك الزوايا وبالأخص من كانت فيه رائحة وجاهة فأوسعوها نهبًا وعسفًا وليس فى وسعى أن أصف ذلك العصر عصر الفوضى والهدم والتخريب لا أعاده الله .

أما الحاضرة فإنها والحمد لله فى الدولة اليوسفية والمحدية قد آبت إلى رشدتها وظهرت فيها حركة مباركة تشعر بمستقبل حسن وأما البادية فلا تزال حالتها سيئة الجهل فاش ورسوم الدين ضائعة والأخلاق فاسدة نطلب الله التوفيه لما فيه رضاه .

الأخلاق الفاضلة

أهل هذا القطر وخصوصاً آسفى كانوا موصوفين بكثير من الأخلاق
الفاضلة والشيم الشريفة وفيهم يقول الإمام أبو حفص سيدى عمر بن عبد الله
الفاسى:

الله دركم بنى آسفى فنزيلكم يشفى من الأسف
حان الرحيل بعيد ما ألفت نفسى بوسلكم فيها أسفى
أخلاقكم كالعطر فى نفس ووجوهكم كالبدن فى شرف
وفيهم أيضاً يقول تلميذه الأديب العلامة سيدى محمد بن طاهر
الهورى:

أهلاً بأهل آسفى من كل خل منصف
أكرم بهم من معشر حازوا الجمال اليوسفى
سادوا الأنام كرمنا فمثلهم فلتعرف
إن كئنتهم نلت المنى من غير ما تعرف
أو انتجعت جودهم فلك ما لم يوصف
بلدتهم طيبة تقضى بنفى الأسف
بحران فيها التقيا والعذب سؤال المعتف
قاضيهم الشيخ الإمام الألعى المقتضى
سلسل عزوز الذى قد حل أوج الشرف

بـتـحـفـ وـطـرفـ	أـحـفـنـاـ مـنـ شـعـرـهـ
الـلـوـذـعـىـ الـيـوسـفـىـ	ضـمـنـهـ مـدـخـ الإـمـامـ
خـيـرـ جـزـائـهـ الـوفـىـ	جـزـاءـ عـنـاـ رـبـهـ

والقاضي المذكور هو العلامة أبو عبد الله السيد محمد بن عبد العزيز المدعو بابن عزوز قاضي آسفي أواسط القرن الثاني عشر فإنه لما ورد أبو حفص الفاسي وابن طاهر صحبة الإمام أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي ثم الرباطي والفقيه السيد الهاشمي اشكلانط امتدحهم القاضي الآسفي بأبيات من الشعر فأجابه ابن طاهر بذلك، وأبيات القاضي هي قوله:

يا مرحبا بالمنصف	الماجد الخل الصفي
البارع المتصف	بالعلم والود الوفي
فكم وكم من نكت	أودعها في صحف
الناظم النائر من	للعارفين يقستفي
كمثل شيخنا أبي	العباس خير الخلف
ياله من بدر سما	في أفق بيت الشرف
فبحره الكامل من	دائرة المؤتلف
حجته أنتهجها	شكل قضايا السلف
فمذ وفيت آسفي	أميط عنا أسفي
لا سيما إذ معكم	لؤلؤة في صدف

سبط الإمام اليوسفى	فجل الهمام المرتضى
أنوارها فى شرف	فاس به قد أشرفت
ضاهى الإمام النسفى	ذاك أبو حفص الذى
لغار منه السلف	فى علمه ولو ردا
من فضلك السر الخفى	سعيكم ملتمس
ودا لك بالوعد فى	يا هاشمى أن لى

وما أطف قول الوزير الأديب سيدى محمد بن إدريس العمراوى فى
أهل آسفى .

إن لم تعاشر أناساً خيموا آسفى، فقل على عمري قد ضاع وآسفى
وهذه الأخلاق كانت هى الغالبة ثم تبدلت الأحوال ضرورة تبدل أحوال الأمة
الإسلامية سياسياً وأديباً وأخلاقياً - فذهبت التعاليم النبوية والإرشادات السنية
لتى اهتدت بها الأمة فى سيرها حتى بلغت بحبوحة السعادة وتبوات مكانة
المجد والشرف .

أجل لما فقدنا التعاليم القرآنية والتربية النبوية وحورب من يقرأ التفسير
أو السنة وصار القرآن يقصد رسمه فقط لا معناه، والسنة من يقرؤها للتبرك
فقط لا العمل - فقدنا الشرف وأخطأنا طريق السعادة المنشودة لكل عاقل وما
أحسن قول أمير الشعراء أحمد شوقى رحمه الله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
بل حصر النبى ﷺ غاية بعثته للبشر فى إتمام مكارم الأخلاق، فقال :

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١) وهذا يرشدنا إلى أن الأخلاق قد انطوى فيها جميع أعمال البر سواء كانت أوصافاً أو أعمالاً فالأخلاق فى الأمة بمنزلة الروح فإذا فقدتها الأئمة فقدت الروح وصارت جثة هامدة طعنة سائغة لغيرها - فيجب علينا الاعتناء بتربية أبنائنا تربية صحيحة بأن الصبى مثل جوهرة مكنونة قابلة لكل ما ينقش فيها فيعود الصبى السجايا الخيرية واللام الحسن وإتيان الفعل الجميل ومعاملة غيره بالتوقير والإجلال وأن يختار له من الصبيان الرفقاء ذوى التربية الحسنة والأخلاق المعتدلة وينهى عن السجايا الخبيثة من قول وفعل ويصان عن رفقة الصبيان ذوى الذعارة والأخلاق الرديئة فإن الطباع تسرق الطباع ولا يطلق له العنان فى المأكولات والمشروبات والملبوسات فإنه من المفسدات.

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

فكثيراً ما يحتمل من الصبى سوء خلقه ويهمل لصغره فيشب على الأخلاق المذومة فيعظم شره ويجل خطره ولا يكون ضرره قاصراً على نفسه بل يصيب أسرته وأمته فيهدم مالها من شرف ويهين مالها من مجد - لأن الفرد قوام الأسر والشعوب منه تتكون فصلاحتها منوط بصلاحة وفسادها منوط بفساده.

وإذا ميز الصبى اليمين من الشمال يجب أن يسلم لمؤدب ناصح عارف بطرف من علوم الشريعة وآدابها وأخلاقها فيأخذه بآدابها ويسلك به المسلم الذى سطرناه سابقاً فى نهج التعليم.

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد والبيهقى والحاكم وغيرهم عن أبى هريرة.

ويتعهده المؤدب بتعويده الخصال الحسنة كالصبر والحلم وكظم الغيظ والسخاء والسماحة والنصيحة والوفاء بالعهد والثبات على المبدأ الحسن والقيام بأوامر الدين - كما يأخذه بترك أضرارها كالكبر والعجب والحسد والخيانة والسرقة والكذب والغش والغيبة وغير ذلك من الأمراض الفردية والاجتماعية فلا يسامحه في ارتكاب شيء منها سائراً في ذلك بلين ورفق غير مستعمل للعنف بل لا يأخذه بالعنف إلا بعد ارتكاب وسائل اللين ولم يرجع عن غيه فبجزر بالفعل من غير مبالغة تؤدي إلى نفوره وكسر حدته وتميت منه النخوة والعزة التي يتفاضل بها الرجال بل يقتصر على القدر المحتاج تدريجاً. وبتعاهده من الوجهة الصحيحة برياضة بدنه أحياناً، فقد عقد الغزالي في الإحياء فصلاً لرياضة الصبيان - منه قوله ينبغي أن يأخذه بحظ وافر من الرياضة البدنية فإن ذلك يقوى جسمه ويملؤه نشاطاً ويعود في بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل.

وقال في محل آخر ينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب التعلم بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يمت قلبه ويبطل ذكائه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه اهـ، بل يجب أن يكون ذلك التعهد شاملاً بجميع مناحي حياته البدنية والروحية مصحوباً ذلك إلى حين بلوغه عضواً عاملاً في مجتمع أمته ساعياً في إسعادها وبانياً صرح مجدها.

ويجب أن تكون كذلك العناية بتربية الأنثى تربية شرعية دينية بأن تغذى أفكارها بما يعينها من العلم الضروري لدينها ودنياها من غير توسع ويسلك

بها المسلك السابق ويزاد عليه علم تدبير المنزل وجميع الشئون المنزلية وتربية الأبناء وتهذيبهم لأن الأهل هي المدرسة الأولى للبنين وهي أساس الأسرة فإن كانت عالمة بما يهم الحياة وما تدعو إليه ضرورتها فإن الولد بل الأمة تسعد بها وإن كانت جاهلة فإن الولد يشقى بها وتشقى به أمته، وما أحسن قول شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

فبالعناية بالتربية تسعد الأمم والشعوب ويسوء التربية تشقى الأسر والشعوب وتجهل طريق حياتها ويكون نصيبها الموت المعنوي نسأل الله الوفيق لما فيه رضاه.

الحالة العمرانية والاقتصادية

الصناعات (١)

يوجد بأسفلى من الصناعات والحرف ما تتوقف عليه ضروريات العمران، ففيها البناء على أحسن منوال وكذلك النجارة والنقاشة والتخريم والصباغة والدباغة والخرازة والداذة والخياطة والحياكة وصناعة الخنزف

(١) الصناعات من أغزر موارد الرزق وأهم الأمور الاجتماعية لها في الإسلام المقام الأول إذ هي من الفروض التي تأثم الأمة بتركها وقد حض القرآن على السعى في غيرها آية، وكذلك السنة النبوية ومن كلام سيدنا محمد ﷺ في الحظ على العمل - إن الله يحب العبد المؤمن المحترف - أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور خير ما أكل العبد كسب العامل إذا نصح - فمن كان خالياً من العمل والسعى فهو جاهل بحكمة الدخول للميدان الحيوى وعضو أشل في جسم الأمة. وما أحسن قول الإمام الراغب: من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى اهـ.

والفخار، وهذه الصناعة أعنى الفخا من أكبر مميزات آسفى فلقد حازت فيه أجمل ذكر وأجل إكبار بوجود تربتها الطيبة فسارت بذكر أوانيتها الركبان وزينت بها المتاحف والبيوت، وكان لها فى معارض الصناعات الأهلية أجمل التفات وأكبر اعتبار فترى الناس من أهليين وأوروبيين يتهافتون على أوانيتها الخزفية فما شئت من خوابى وبردات وغيرها من أوانى البيوت فى أشكال بديعة وأساليب متنوعة تجذب القلوب وتلفت الأنظار.

وهى من الصناعات القديمة بأسفى صرح بعض المؤرخين الإفرنجيين بأنها وجدت بأسفى منذ الفينيقيين قبل الميلاد المسيحى بقرون.

وقد هب على هذه الصناعة كغيرها ربح الكساد والتأخر لكن الحكومة أخذت بضبعها فأوفدت لها من ذوى المعرفة من رسم للناس طريق رقيها وتحسينها فارتقت عن حضيضها وتبوات مقاماً كادت تفوق فيه أختها فى هذه الصناعة وهى فاس الشهيرة بصناعة الخزف.

وأما الحياكة فلها فيها التقدم والتفوق فقد قال عنها ابن الخطيب أنها بلد موصوف برفيه ثياب الصوف - فلنساء ناحيتها الدكالية من التفن فى نسج الثياب الرقيقة وغيرها من الأكسية والبرانيس ما يوقع فى النفوس أكبر تأثير فى جذب القلوب إليها والتجمل بها فى أفضل الأيام، ولها فى معارض الصناعات الوطنية أجمل ذكر وأحسن التفات من الأهالى والأوروبويين، لكن قد تتهقرت هذه الصناعة بإقبال الأهالى على اقتناء الثياب الأجنبية حتى أنه بأسفى قد تعطل نحو ستين دكاناً للحلكة على كونها من أجمل الألبسة وأحسنها وأكثرها دفئاً للبدن.

مع أن الواجب يقضى على كل عاقل بإبقاء ثروة البلاد فيه بأن لا

نشترى شيئاً أجنبيًا مهما كان من الحسن ما دام نظيره أو ما نكتفى به عنه يوجد ببلادنا إلا من دولة تقبل منتوجات بلادنا .

فالإقبال على الأمور الأجنبية دون الأهلية فيه موت البلاد والعباد بالقضاء على ثروتها .

فالمغرب يعانى ضروريًا من الكوارث ويثن بغير ما نوع من الأمراض الفتاكة ويجتاز دورًا عظيمًا من أدوار حياته من أهمها الأزمة الحالية فهو على ضآلة موارده لعدم اهتمام أهله لاستثمار كنوزه تجدد أبناءه يعزفن عن منتوجاته إلى منتوجات أجنبية فكان فعلهم هذا ضربة لازب على اقتصاديات البلاد وقضاء على حياة هذه الأمة بيد أبنائها الذين لا يحفظون لها حرمة ولا يحفظون لها بين ثنایا صدورهم ذمة ، وطالما أرضعتهم ثدى نعمتها وأغدقت عليهم من خيراتها .

ولقد نصح الأهالى المقيم العام هنرى بونسوا فى بعض خطبه بفاس وعزلهم عن إقبالهم على الأمور الأجنبية وطلب منهم أن يمدوا له يد امساعدة باقتصارهم على مصنوعات بلادهم - وكذلك م كودير المراقب المدنى الكبير لدائرة عبدة وآسفى فى مقابلة بعض لصناع من أهل آسفى حيث أمرهم بإتقان مصنوعاتهم وعدم تعديها إلى الأجنبية كاليابانية وغيرها، ونحن نشكر حضرتها على تمحيص هذه النصيحة .

لا أريد أن أحمل مسئولية هذه المسألة على عواتق الذين يشترون الأمور الأجنبية فقط، بل كذلك هى ملقاة على عواتق صناعنا وتجارنا الذين غالبهم يرتكبون الغش فى مصنوعاتهم فلا يعيرونها أدنى التفات من الإتقان والإحكام وكثيراً ما صار مطروقاً عندهم إذ أليم أحدهم على شىء من عدم الاكتراث

بصنعتة - أن هذا سواقى (سوقى) معتذراً عن سوء فعله ومعبراً عن خبث طويته كأن السوق ليس بأهل للمصنوعات الحسنة وكأنه لا يشتريه منه أبناء جنسه - وما السق إلا معرض يتجلى فيه مقدار الأمة ومنه تتبين منزلتها بين الأمم - وما هو إلا ميدان تتسابق فيه الأفراد لأداء واجباتهم الاجتماعية بإتقان مصنوعاتهم وتقديمها برهاناً على خدمتهم للهيئة الاجتماعية .

ولجهلهم بهذه القيقة صاروا يستعملون الغش والكذب فى نفاق بضائعهم مع أنه مبخس لها ومعرض صاحبها لسخط الله ورسوله والأمة وسائر بنى الإنسان - وقد قال صاحب الرسالة الإسلامية صلوات الله عليه - من غشنا فليس منا^(١) - ليس منا من غش مسلماً أو ما كره^(٢) - إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه^(٣) - إن الله يحب من العامل إذا عمل أ يحسن - إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان عليهم لم يظلوا وإذا كان لهم لهم يعسروا .

الحالة التجارية^(٤)

آسفى منفذ المحصولات الواردة من سهول الحوز ومراكش وهى المرسى الوحيد الجنوبى للواردات من هذه النواحي وبالأخص واردات الحبوب على

(١) رواه البخارى وغيره .

(٢) رواه الرافعى عن على .

(٣) رواه البيهقى مع التالين له أيضاً .

(٤) التجارة إحدى منابع الثروة وأغزر مواد المعاش لذلك فسح الإسلام لها كنفه وأوسع لها مجاله وحض عليها . قال الله تعالى فى وصف الذين يرحلون فى سبيلها فى الكتاب =

اختلاف أنواعها، وما كانت عمارة آسفى إلا على كونه مرسى مراكش وخصوبة أرضه القليلة النظير، كما أنه مقصد البواخر التجارية من أوروبا وغيرها.

وكانت تجارة آسفى مع أوروبا حسنة من قديم حتى أنه لما احتله البرتغال قصدته البواخر التجارية فى حالة الهدنة مع المسلمين، ثم انقطعت الصلة برهة من الزمان ريثما ثبت الملك فى نصاب السعديين، ثم عادت العلائق لأحسن حالاتها فكانت فى الدولة السعدية تتردد إليها تجارة فرنسا وإنجلترا والبرتغال - وفى سنة ٩٨٤هـ موافق ١٥٧٧م عين هنرى سلطان فرنسا قنصلاً عاماً بالمغرب فاستقر بآسفى وكان نفوذه ممتداً على من بالمغرب من تجار أوروبا وغيرهم.

وكانت بآسفى أيضاً معاهدتان تجاريتان بين الملوك السعديين وفرنسا. الأولى سنة ١٠٤٠هـ موافق سنة ١٦٣١ - والثانية سنة ١٠٤٤هـ موافق سنة ١٦٣٥م ودام الحال على ذلك فى الدولة السعدية والعلوية حتى أسس السلطان سيدى محمد بن عبد الله مرسى الصويرة سرح منها السوق للتجار وعطل السوق من أكادير وآسفى ريثما اشتهرت الصويرة وعرفت. ويقول بعض مؤرخى الإفرنج أن آسفى استمرت على ذلك إلى سنة ١٢٦٠هـ ثم سرح منها السوق وتسربت إليها تجارة فرنسا وإنجلترا.

=العزیز: «وآخرون يضرئون فى الأرض يتتغون من فضل الله» ولما تخرج الصحابة من مباشرة التجارة فى أيام مناسك الحج رفع الله عنهم ذلك بقوله فى كتابه: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم» وقد جاءت السنة بالحض عليها ونبد الكسل والبطالة حتى أن صاحب الشريعة الإسلامية تجر بنفسه وتجر أصحابه وكانوا يرحلون إليها للشام وغيره براً وبحراً لأن دين الإسلام دين عمل وسعى، وليس بدين موت وبطالة واتكال على الغير.

ويظهر أن هذا القول ليس على إطلاقه فقد كانت آسفى مسرحًا منها
الوسق صدر القرن الثالث عشر فى رئاسة القائد السيد عبد الرحمن بن ناصر
العبدى، حيث كان مستبدًا بمرساه.

ولآسفى خطوط بحرية عديدة تربطه بأوروبا وترده كثير من البواخر
خصوصاً فيما بين غرتى مارس وأكتوبر، ففى هذه الأشهر السبعة تكون فيها
البواخر بكثرة وفى غيرها يكون فى الوسق صعوبة لهيجان البحر وتكسر
أمواجه فلا تستطيع البواخر أن تقترب من سواحله.

ولذلك اهتمت الحكومة بإصلاح ميناه فأسندت أمره لكمبانية شنيدر،
وبالفعل باشرت بناء حوض كبير ترسو فيه لبواخر التجارية بكل سهولة،
ويمنع تكسر الأمواج. وكان ابتداء العمل فيه بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٢٣م
موافق ٤ شعبان سنة ١٣٤١هـ، وقد كادت الأعمال فيه أن تنجز ويتيسر النقل
والوسق منه فى جميع فصول السنة.

ويفور الفراغ منه يجد الحال السمة الحديدية التى تصل آسفى بمراكش قد
فرغ منها حيث إنها مشروع فى مدها وإذ ذاك يدخل آسفى فى طور جديد من
ال عمران لا سيما بالنظر إلى مناجم الفوسفات التى عثر عليها بناحيته وسيرفع
له رصفا مخصوصاً من هذه المرسى.

وقد تأسست به منذ دولة السلطان المولى يوسف بنوك فرنساوية
وإنجليزية وشركات تجارية أجنبية وهذه الشركات هى التى تدير الشئون
التاجرية، أما المسلمون الوطنيون فإنهم لا يزالون جاهلين بقوانين التجارة
وأساليبها العصرية، حيث لم يؤلفوا شركات ولم يستعن بعضهم ببعض فى
القيام بأعبائها والفرد من حيث هو عاجز عن القيام بذلك كما يجب - فعلى

مواطنينا أن يؤلفوا شركات وأن يجعلوا الصدق والأمانة والثقة رائدهم حتى يبلغوا من ذلك مناهم فإن المال حياة البلاد ولا تقوم أى مصلحة إلا به فعلیهم أن يأخذوا بالأساليب العصرية وأن یقتدوا بالأمم الحیة الناهضة فى ذلك .

نعم أن الأزمة الاقتصادية العالمية قد خیمت على سوق التجارة وأعان على ذلك تعاطى المعاملات الربوية الشیء الذى تعتبره الشریعة الإسلامیة أعظم هادم للثروة ومحق للبركة منها، وقد كان ذلك كذلك فارتفعت البركات ومحقت المالیة محققاً فترى الفلاح أو التاجر الأهلیین إذا احتاج أحدهما یأتى للمرابین فیأخذ منهم الدراهم على شرط النصف أو الثلث والمغرب بطبیعة أرضه زراعى قبل كل شیء فریما جاح العام من قابل، فیؤدى ذلك الفلاح أصل المال فیضطره المرابى إلى مضاعفة الباقى علیه للسنة القابلة، وربما یؤدى فى السنة القابلة الأصل الثانى فیضاعف علیه الباقى حتى إن كثيراً من المرابین وخصوصاً اليهود، هذا شغلهم ویدینهم وقد اطلعت الحكومة ببلادنا أسفى على كثیر من هؤلاء المرابین فنكلت بهم فشكرا لها على ذلك .

ولقد اهتم السلطان المقدس المولى یوسف بهذه المسألة فأصدر أمره بعدم إمضاء هذه البیوعات والمعاملات، واهتمت كذلك وزارة العدلیة فأصدرت منشوراً بهت فیة القضاة والعدول لإيقاف تیار هذا السیل الجارف الذى أتى على الحرث والنسل، وكان من أعظم أسباب الأزمة الاقتصادية ولكن الكثیر منهم یتسابقون للشهادة على المعاملات الربوية رغبة فى تلك الأجرة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا علیهم بعد ما نالوا ذلك النصیب التافه فى الجنایة التى یجنونها على أنفسهم وعلى بنى ملتهم بمخالفة أمر الله ورسوله .

ولا ننكر أن فى هذه الطائفة التى تمثل الإسلام رجالاً تقر بهم عین

الإسلام لإسداقهم أجل الخدمات للمصالح العام، ولكنهم من القلة بحيث لا نسبة بينهم وبين أصحاب الشخصيات الذين يرضون شهواتهم ويشقون بنى الإنسان ونص المقصود من المنشور.

لا يخفى على كل أحد ما يحدث من الأضرار الفادحة والمصائب المتنوعة التى تلحق أهل البادية والمدن من سكان هذه المملكة السعيدة بسبب تعاطى البيوع الفاسدة والمعاملات الربوية التى جاء الشرع المطهر بالنهى عنها وتحريمها تحريماً مطلقاً، ولذلك فقد أصدر المخزن (السلطان) الشريف ظهيراً شريفاً مؤرخاً فى ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ موافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٦ نشر بالجريدة الرسمية عدد ٧٢٦ - الصادر ١٣ ربيع الأول ١٣٤٥ موافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٦ كما هو معلوم بمنعها ومقاومتها بما يمكن من الشدة، وبناء على ذلك فما نحن نلفت نظركم إلى هذه المسألة المهمة، ونبين لكم ما يتعين عليكم سلوكه فى تحرير الرسوم المختلفة التى تؤول إلى المعاملات الربوية كيفما كان نوعها حتى تنحسم مادتها ويزول ضررها عن العام والخاص وإليكم البيان.

إذا حضر لدى العدول متعاقدان بقصد إقامة رسم معاملة بسلعة أو بيع أو إقالة أو بيع سلم أو رهن فإنه يتعين على القاضى مع العدول بأن ينظروا بكل تدبير وإمعان فى تلك المعاملة وما اشتملت عليه واحتف بها من الغرر فإن كل سائغة شرعاً إذن فيها، وإن عشر على شائبة قرض ربوى فيها تدل على ذلك، امتنع القاضى امتناعاً كلياً من إعطاء الإذن فى إقامة الرسم المذكور.

وكذلك العدول يتعين عليهم أن لا يقدموا بأى وجه من الوجوه كان على كتب هذه الرسوم أو تلقى هذه الشهادات، وإذا لم يحصل العلم بما ذكر

أعلاه إلا بعد كتابة الرسم فيتعين على القاضى حينئذ أن ينبذه ويرفض أداءه
والخطاب عليه رفضاً كلياً مبيّناً العلة الموجبة لعدم قبوله .

وإذا طلب أحد إقامة رسم فيتعين على العدول أن ينصوا بكل صراحة
بحيث لا تحتمل لبساً ولا غموضاً أنه إذا لم تكن صابة فى ذلك العام أو لم
تحصل غلة بحيث لم يوجد الشيء المسلم فيه فإن رب الدين وهو المسلم
(كسراً) يكون بالخيار فى أخذ رأس ماله ناصباً بدون زيادة عليه أو التأخير إلى
العام المقبل .

فما على القضاة إلا أن يمدوا يد المساعدة للناس فيما يرجع لما ذكر بصفة
كونهم حكاماً شرعيين وعلى كل قاض يأن يجمع عدوله ويخبرهم بهذا
المنشور ويفهمهم فيما اشتمل عليه حرفاً حرماً ليكون من سائر ما تضمنه على
بال ويحرضهم على اتباعه وعدم الخروج عنه بحال والله الموفق للصواب .

حرر برباط الفتح بوزارة العدلية الشريفة فى رابع عشر شعبان عام
١٣٤٥ موافقاً سابع عشر أبريل سنة ١٩٢٧م .

الحالة الزراعية^(١)

أسفى وقطرها بلاد زراعية فلاحية قبل كل شيء، وقد خصها الله تعالى

(١) الفلاحة من أجل موارد الرزق وأعظم عناصر الثروة وقد أعارها الإسلام جانباً عظيماً من
الاهتمام يتفق منزلتها فجاء القرآن بالتنويه بها وكان صاحب الشريعة الإسلامية صلوات
الله عليه يعطى الأرض على شطر ما يخرج نها بل وغرس الشجر بيده - ومن كلماته
فيها - احرقوا فإن الحرت مبارك، اطلبوا الرزق فى خبايا الأرض وما من أهل بيت
بالمدينة من المهاجرين والأنصار إلا كانوا يعقدون الشركات الزراعية والغراسية حتى بلغت
فى الدولة الإسلامية مبلغاً عظيماً وكتب المسلمون فى مهنتها التأليف النفعه .

بكونها على انفساح رقعتها بسائط واسعة الأطراف وسهولاً فسيحة الأكناف مع طيب التربة وكرم البقعة فهي أشرف أراضي المغرب وأطيبها وبالأخص دكالة وعبدة وأحسنها وأحسن تراب عبدة الربيعة .

ولقد قال ابن الخطيب القسنطيني يصف دكالة عندما دخل إليها سنة ٧٦٣ هي أرض مستوية طولها مسيرة أربعة أيام، وكذلك عرضها وبلغت أزواج حرانها زمان ورودي عليها عشرة آلاف زوج وبعض حيوان فيها من إنسان وغيره زائد على مثله في قدره وليس بها نهر ولا عين إلا آبار طيبة دخلها القاضي أبو بكر بن العربي بعد رجوعه من العراق وعجب من قلة مائها وكثرة خيرها، وقال رأيتها أنبتت ثانی يوم المطر اهـ .

وقال ناقلاً عنه أبو القاسم الزياني في كتاب الترجمانة الكبرى - دكالة طولها وعرضها خمس مراحل وليس بها أنهار ولا عيون إلا الآبار العذبة وليس بها شعاب ولا خندق ولا جبال إلا البسائط والزرور والضرور وبها زيادة على عشرة آلاف قرية عامرة غير مدن السواحل ومدينتها العظمى بوسطها دخلها القاضي أبو بكر بن العربي وتعجب من قلة مائها وكثرة ثمارها ورخص أسعارها وطيب زروعها وضروعها، وقد بلغ عدد سككها أزيد من مائة ألف سكة اهـ^(١) .

وعلى الجملة فهذا الإقليم الجنوبي للمغرب هو أخصب أراضي المغرب، ولقد قال عنه السائح العراقي أبو القاسم بن حوقل لما دخله سنة ٣٤٠هـ

(١) لا تافى بين القول الأول عشرة آلاف والثاني مائة ألف بحمل الأول على نوع خاص من الأزراج أو ناحية واحدة من دكالة والثاني على الجميع أو أن ذلك يختلف باختلاف الألمان .

وتعرض لذكر إقليم أغمات فقال هو رستاق عظيم ومن ورائه إلى ناحية البحر المحيط والسوس الأقصى وليس بالمغرب أجمع بلد أكبر ولا ناحية أوفر خيراً منها ولا أرفه ولا أجمع لفنون المآكل والمشارب منها وبها الأترج والجوز والنخل وقصب السكر والسهم والقنب وسائر البقول التي لا تكاد تجتمع في غيرها هـ.

الحالة المائية

الماء النبع بأسفى وضواحيه قليل، وإنما يحفرون ماجلا تعرف بالنطافى يخزنون بها الماء وقت نزول الأمطار ويتخذون الآبار والسواقي منها العذبة وغير العذبة القدر الذى تحصل به الكفاية فى الضروريات.

نعم هو غير كاف للكماليات ولا مناسب لثروة هذه البلاد الزراعية التى تحتاج إلى غزارة المياه بإجراء السواقي واتخاذ السدود، وغير ذلك لأن الماء هو روح العمران ومنبع الثروة.

وقد كان للملوك الأقدمين اهتمام زائد بهذا القطر وقد رفع إليه السلطان يعقوب المنصور ساقية عظيمة فى الإتقان من الوادى الأخضر بتساوت ولا تزل تحفظ اسم الساقية اليعقوبية ويوجد أثرها فى بلاد الرحامنة إلى أرض دكالة الحمراء (عبدة) حيث اتخذ لها حوضاً كبيراً بموضع زرول جنوب أسفى توزع منه المياه على الأجنة والفدادين - وزرول كان حصناً قديماً على مقربة من سبت جزولة فى وطن بنى ماكر من سهل جبلهم وكان فى فاتح عصرنا لا تزال آثاره بادية منها هذا السد الذى تخزن فيه المياه وهو عبارة عن صهريج كبير، وكان حوله مخازن كثيرة منحوتة فى الأرض لحزن الحبوب كما أدرك به

أهل عصرنا صومعة إسلامية ثم اضمحل ذلك ونقلت أنقاضه إلى البلاد المجاورة له .

وكانت هذه الناحية غنية بكثرة الأجنة والأشجار المتنوعة، فقد مر عليها ابن الخطيب السلماني سنة ٧٦١ - وأثنى عليها حيث قال بتنا بسور بنى ماكر تحت خصب وأمنة ومن الغد سلكتنا وطن بنى ماكر وهو كثير العمران متعدد الديار والأشجار سقية من نطاف عذبة تختزن بها بركة الأمطار فيقع بها الاجتزاء إلى زمن المطر وبها كثير من الصالحين وأولى الخير وأرباب التلاوة وربما ألقى بها ضدهم اهـ .

وقد كانت إلى فاتح عصرنا هذا الهجرى لا تزال بهذه الجهة أجنة وبساتين عديدة للغلل والفواكه إلا أنها لاختلال الأمن صارت اليوم كأنها صحراء .

وقد اعتنت الحكومة فى عصرنا بهذه المسألة فوقع الكشف عن عيون ماء شمال آسفى فرفع فى السواقى إلى آسفى حيث وزع على الشوارع العامة سنة ١٣٤٣هـ، وهو وإن لم يكن صالحاً للشرب فقد قام بواجب مهم من الحياة . كما وقع العثور أخيراً على عين ماء بجنان الزيتون شرق آسفى وأصعد بآلات ميكانيكية وجلب للمدينة حيث جعل الناس يشترونه ويدخلونه للدور الخاصة وهو ماء عذب .

أما الضواحي فقد اتخذت ماجلا كبيرة فى الطرق العامة والأسواق وكان الفراغ من جلها سنة ١٣٤٥هـ، حيث وزع منها المياه على الأهالى المجاورين لها وغيرهم فى إبان المصيف، كما أنها أوفدت بعثة فنية للبحث عن أماكن الماء بأرض عبدة وبالفعل باشرت ذلك سنة ١٣٥٠هـ، ولا تزال الهمة مبذولة فى هذه المسألة التى هى روح العمران ومنبع الثروة .

الأودية

يوجد بهذا القطر عدة أودية أقربها لآسفى آثنان وهما اللذان تجدد بهما دكالة من الجنوب والشمال - أحدهما أم الربيع من جهة الشمال منبعه من الجبل الأطلس من بلاد صنهاجة على مسيرة أكثر من يوم من قصبة خنيفرة وينحدر هناك وسط قبائ صنهاجة ويمر بقصبة خنيفرة ثم تادلة وبنى موسى حيث يلتقى به واديان يضمن إليه وهما وادى العبيد والآخر وادى تساوت ثم إلى البحر المحيط عند مدينة آزموور وهو واد عظيم من أكبر أودية المغرب وقد كان قديماً يزرع عليه قصب السكر والقطن وغير ذلك من الغلل النافعة وترفع منه السواقي إلى البلاد المجاورة لها من أرض دكالة.

وقد اتخذت الحكومة فى عصرنا عليه معملاً عظيماً للكهرباء بلغت قوته الكهربائية معدل ٦٠ قوت و فرغ منه سنة ١٣٤٦هـ ومن ذلك الحين والأسلاك الكهربائية تمد إلى مد المغرب وسيوزع على معامل الصناعة وسكك الحديد وغير ذلك - وموقعه على بعد ٣٢ ميلا من مدينة آزموور.

ثانيها وادى تانسيفت على طرف دكالة الحمراء من الجنوب ومنبعه من الأطلس حيث تصب فيه عيون وأودية، ثم يمر بمراكش على نحو ساعة فتسقى منها أجنحتها ونخيلها ثم بشوشاوة فيلتقى بواديهها، ثم يصب فى البحر المحيط على بعد ٣٨ كيلو متر من آسفى وأكثر ما تكون قوته فى فصل الشتاء بحيث يتمتع أحياناً عبوره، أما فى الصيف فيقل ماؤه وربما جف بالمرّة لكثرة ما تحمل منه السواقي بمراكش وغيره.

وعلى هذا الوادى بشوشاوة كانت مزارع قصب السكر ومعامل عصره، وكانت الدولة السعيدية توسقه لبلاد أوروبا من آسفى. وقد ذكر اليفرنى فى

كتاب النزهة عند تعداده مآثر أحمد المنصور أنه أحدث بمراكش وحاحه وشاوة معاصر السكر. قال الفشتالي وكان ابتداء ذلك والده أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي فكثرت السكر في أيامه بالبلاد المغربية حتى لم تكن له قيمة، وكان يشتري منه الرخام من النصارى هـ.

(وادي حاحة) منبعه من الأطلس فينحدر إلى سهول حاحة ويمر على قسبة الصويرة القديمة حيث ينصب في المحيط جنوب الصويرة الجديدة على مقربة منها.

وعلى هذا الوادي لدى الصويرة القديمة كانت مزارع قصب السكر والمعامل المعدة لتقطيره، حيث كان يوسق أيضاً لأوروبا من مرسى آسفى.

الغابات

يوجد بالناحية الجنوبية عن آسفى غابات متعددة أهمها غابة أركان الشهير بزيتته الشهى الذى يكاد يستغنى به عن غيره، ولما تكلم أبو عبيد البكرى فى المسالك على السوس وأغمات وسواحلها قال بها شجر الهلجان (أركان) لا يكون إلا هناك يستخرج من حبه زيت طيب كثير النفع، وذلك أنهم ينون ثمره فتعلفه الماشية، ثم يعمدون إلى عجمه فيطحن ويطنخ ويستخرج منه دهنه فيكادون يستغنون به عن جميع الزيوت لكثرتها عندهم هـ.

وقال فى موضع آخر وبالسوس زيت الهرجان (أركا) شجره يشبه شجر الكمثرى إلا أنه لا يفوت إليه وأغصانه نابتة من أصله لا ساق له (طويلا)

وهى شوكاء وثمرها يشبه الأجاص فيجمع ويترك حتى يذبل ثم يوضع على النار فى مقلى فيستخرج دهنه (أى بعد طحنه ولته) وطعمه يشبه طعم القمح المقلو وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلا ويدر البول اهـ.

وقال ابن خلدون هو زيت شريف طيب اللون والرائحة والطعم يبعث منه العمال إلى دار الملك فى هداياهم فيطرفون اهـ.

وكانت هذه الغابات متصلة بأسفى من جهة الجنوب حتى كانت شعبة النطافى يمشى الماشى فى ظل الأشجار مسافة طويلة فلا يرى الشمس إلا أنه بالأسف قد أسرف الناس فى قطعها تارة وحرقتها أخرى للتوسع فى الحراثة وغير ذلك، وقد تداركت الحكومة ذلك فمنعت التصرف فيها إلا بقوانين مسنونة - وهذه الجهة الجنوبية وبالأخص ما وراء وادى تانسيفت لم تكن قديماً أرض فلاحه وزراعة وكانت الحبوب ترد عليها من دكالة لأنها بطبيعة الحال أرض غابات وغراسه وغلل وفى الأيام الأخيرة لما كثرت فيها الفلاحه تناقصت الغابات.

كما أن الجهة الشمالية والشرقية عن أسفى الغالب عليها الزراعة - وكانت غابات الرتم والجنندل على الشواطئ البحرية من أسفى إلى تيط والجديدة وانحدرت مع أم الربيع إلى الجبل الأخضر وسهله.

وقد ذكر الإدريسى فى كتاب نزهة الشتاق الذى فرغ منه سنة ٥٤٩ أن جنوب وادى أم الربيع يجاز منه إلى غيضة كبيرة من الطرفاء والأنشام وكثير العليق وهى غابة كبيرة ملتفة والأسود بها كثيرة، وربما أضرت بالمار غير أن أهل تلك الناحية لا يهابونها وقد تمهروا فى مقاتلها بأنفسهم من غير سلاح، وإنما يلقون أكسيتهم على أذرعهم ويمسكون معهم قنات من شوكة السدره

وسكاكينهم بأيديهم لا غير، ولقد لقيت منهم الأسد هنالك نكايات فلا مهابة لها عندهم بل تخاف ضرهم وتجتنب طرقهم وربما هجمت على الضعفاء من الناس اهـ، وهذه الغابة لا يزال أثرها شمال الوادى لكنه ضئيل .

وأما غابة الجبل الأخضر وسهله فقد قال الحسن بن الوزان أنها غابة هائلة، وفي غابة السهل منه الغزلان والظربان، وكان الغزلان عل أشكال وفيها الأروى والذيب والحجل وأنواع الطير، وقد نزل عليها السلطان محمد الوطاسى سنة ٩٢١هـ، فاصطاد بها وحكى لنا أنه لم يقع بها اصطيد منذ مائة سنة هـ، وقد صارت غابة السهل الآن أرضاً حراثية وبها شجر قليل .

وأما الجهة الشرقية كأرض حمير والرحامنة فقد كانت غاباتها معمورة بالسدر ونحو وتوجد فيها الغزلان وأنواع الوحش ولأجل ذلك كانت قبيلة حمير من أمهر الناس فى الرماية وإجادة الركوب والفروسية لأن الصيد جل شغلهم ومورد رزقهم مع قيامهم على تنمية الأنعام من المواشى، ولم تكن أرضهم فى القديم فلاحية ثم لما ضعفت الغابات كثرت الفلاحة .

وذلك أن رياضة النفوس على اقتناص الصيد والتمرس بصيده مما يحفظ على الناس إجادة الرمى والفروسية فكانت هذه القبيل بمنزلة مدرسة حربية يأتيتها الناس لأخذ الرماية والركوب ولهم فى ذلك قوانين مسنونة وشيوخ يرجع إليهم فيها .

وأول شيوخهم فيها الإخوان والشهيران أبو الحسن السيد على ابن ناصر وأخوه السيد سعيد كانا قد تمرسا بصيد الوحش بإشارة شيخهما أبى العباس سيدى أحمد بن موسى فى طريقهم إلى حج بيت الله الحرام فكانا من أعرف الناس بها، فاتصل ذلك فى بنهم وقبيلتهم حتى كان السلطان المولى إسماعيل يرسل عبيده ليتعلموا الرماية عندهم .

المعادن

معدن الفوسفاط

يوجد معدن الفوسفاط قرب بحيرة زيمة بين آسفى ومراكش على بعد ٨٤ كيلو متر من آسفى وهو فى الدرجة الثانية بالنسبة لمعدن خريكة. طوله ٧٥ كيلو متر فى عرض ١٥ كيلو متر بالحد الأوسط، ويليه فى الدرجة معدن شيشاوة - كما وجد أيضاً بمسكالة وإيميتانون.

معدن الرصاص

وقع العثور أيضاً بهذه الناحية على معدن الرصاص سنة ١٣٤٦ موافق سنة ١٩٢٨م، وقد استخرج منه صاحب الرخصة فى استخراج الرصاص والنحاس سيولكى ٥٠ طناً من نوع الرصاص المسمى بالفرنسية سيدوذيت وخمسين طناً من النوع المسمى مالا شيت هو حجر أخضر جميل يصفلون به بسهولة.

معدن البوطاس

وقع الكشف عن هذا المعدن بزيمة وقدرت مادته بـ ٩٥ فى المائة. وهو يضاهى فيما قيل ما وجد بالألزاس.

obeikandi.com

194

obeikandi.com

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة الكتاب
٧	تمهيد
٩	نسب الأمة البربرية
١١	سبب انخراط بر بن قيس فى سلك البربر
١٥	تأييد غزوه المغرب بالآثار
١٩	المصامدة بالجنوب المغربى
٢٠	مواطن مصامدة السهل
٢١	مشاهير بيوتاتها - بيت أمغار
٢٢	بيت البوعنانيين الحسنيين
٢٣	بيت المشترائيين
٢٤	بيت صنهاجة
٢٥	بيت بنى دغوغ - بيت رجراجة
٢٦	بيت بنى ماكر
٢٨	رجراجة
٣٣	حاحة - جزولة وهشتوكة
٣٤	مصامدة جبل درة (الأطلس)
٣٥	هرغة - تينمل
٣٦	هنتانة - كدميوة وسكسيوة - وريكة
٣٦	موجة العرب الداخلة للمغرب الأقصى فى القرن السادس
٣٨	مواطن هؤلاء العرب على التفصيل

- ٤٠ عبدة بالصحراء - عبدة بالحجاز
- ٤١ عرب حمير - الشياظمة
- ٤١ أولاد مطاوع أخوة الحرث
- ٤٢ أولاد وليم - عرب السراغنة
- ٤٢ عرب الشاوية أهل تامسنا - عرب الخلط
- ٤٣ عرب تادلا
- ٤٣ عرب بنو جابر - عرب المعقل القحطانية
- ٤٦ قبيلة الثاردة - قبيلة الرحامنة
- ٤٧ المدن والمراسى بهذا القطر الجنوبي المصمودى
- ٤٧ قصبه إير
- ٤٨ قصبه الوليدية
- ٤٩ مدينة الغربية
- ٥٢ مدينة تينطنططر (تيط)
- ٥٤ مدينة ثغر الجديدة
- ٥٧ مساجدها
- ٥٨ مدينة آزمور
- ٦٠ قصبه أبى الأعوان
- ٦١ الصويرة التى على وادى تانسيفت
- ٦١ قصبه ابن حميدوش
- ٦٢ الصويرة الجديدة
- ٦٤ الصويرة القديمة

٦٤	مرسى أكادير
٦٥	حصن فوتنى - مدينة تزنيت
٦٦	مدينة تارودانت
٦٨	عاصمة مراكش الشهيرة
٧٥	القسم الأول فى تاريخ آسفى التأسيسى
٧٨	ضبط لفظ آسفى
٧٩	وجه تسمية المدينة باسفى
٨٣	آسفى وأطوار تأسيسه قبل الإسلام وبعده
٨٨	آسفى فى الإسلام
٨٨	آسفى وتخریب البرغواطين
٨٩	آسفى والمرابطين اللمتونيين
٨٩	آسفى والموحدين
٩٠	آسفى والمرينيين
٩٠	آسفى والبرتغاليين
٩٣	آسفى فى الدولة السعدية
٩٤	آسفى والدولة العلوية
٩٥	آسفى فى العصر الحاضر
٩٥	مساجد آسفى
٩٥	نبذة عن تاريخ الديانات
٩٦	ديانة قدماء المغرب
٩٧	الديانة الإسلامية

٩٨	المسجد الجامع الكبير
١٠٢	مسجد أفنان المدعو الفوقاني
١٠٣	مسجد القصبة العليا
١٠٤	مسجد رباط آسفى
١٠٦	مسجد الشريف سيدى الحاج التهامى
١٠٦	مسجد خارج باب الشعبة
١٠٦	الزوايا والرباطات
١١٣	زاوية الشيخ محبى الدين أبى محمد عبد القادر الجيلانى الحسنى
١١٣	زاوية الشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى
١١٤	زاوية الشيخ المولى عبد الله الوزانى
١١٤	الزاوية المنسوبة للشيخ المولى العربى الدرقاوى
١١٤	الزاوية المصلوحية
١١٥	الزاوية المنسوبة للشيخ المولى أحمد التجانى
١١٥	الزاوية المنسوبة للشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن عيسى
١١٦	الزاوية المنسوبة للشيخ أبى الحسن على بن حمدوش
١١٧	زاوية الشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن سليمان الجزولى
١١٨	الزاوية البدوية
١١٨	المستشفيات المعبر عنها قديماً بالمارستانات
١١٩	الآثار الخيرية والملاجئ
١٢٠	محل الطيور الساقطة
١٢٠	أوقاف المساجد والمدارس

١٢١	أوقاف السور والمحارس
١٢١	أوقاف الغرباء
١٢١	الآثار القديمة
١٢٤	مشاهير بيوتات آسفى
١٢٤	بيت الشرفاء الوزانيين
١٢٥	بيت الشرفاء أولاد الناظر
١٢٦	بيت الشرفاء الأمغاريين
١٢٧	بيت الشرفاء الوحيديين
١٢٨	بيت الشرفاء أولاد مولاي الحاج
١٢٨	بيت الشرفاء البوعنانيين
١٢٨	بيت الشرفاء أولاد مولاي التهامى كديمات
١٢٩	بيت أولاد ابن المدنى
١٢٩	بيت بنى القاضى أولاد ابن حم ^٥
١٢٩	بيت الشرفاء الدرقاويين
١٣٠	بيت الشرفاء أولاد أعطار
١٣١	بيت الشيخ أبى محمد صالح الماجرى
١٣١	بيت أولاد ابن الكاهية
١٣٢	بيت أولاد ابن هيمة
١٣٣	بيت الوزانيين
١٣٤	بيت الشقوريين
١٣٥	بيت أولاد الركوش

١٣٦	بيت أولاد الحكيم
١٣٧	بيت أولاد ابن عبد الخالق
١٣٧	بيت المطاعين
١٣٨	بيت أولاد واعزيز
١٣٨	بيت أولاد الكراوى
١٣٩	بيت الباعمرانيين
١٣٩	بيت أولاد ابن الهوارى
١٤٠	بيت أولاد مينة
١٤٠	بيت أولاد الدمنى
١٤١	بيت أولاد حدادو
١٤٢	بيت أولاد الغماز
١٤٢	بيت أولاد وجان
١٤٢	بيت الترنيتيين
١٤٣	بيت أولاد ابن عزوز
١٤٣	بيت أولاد كوار
١٤٤	بيت أولاد ديبلة
١٤٤	بيت التربكيين
١٤٥	بيت أولاد ابن جلول
١٤٥	بيت أولاد باجدوب
١٤٦	بيت القليعيين
١٤٦	بيت المستارين

١٤٧	بيت أولاد الراشدى المدعو أهله بأولاد العفو
١٤٧	بيت أولاد مرحبو
١٤٨	بيت أولاد ابن عاشور
١٤٨	بيت أولاد حيدة أهل سوس
١٤٩	بيت أولاد يعزى الإيلالين
١٥٠	بيت أولاد أخزام
١٥١	بيت رجراجة
١٥١	بيت أولاد الغزوى
١٥١	الحالة العلمية والأدبية
١٥٢	الدولة اللمتونية وآثارها فى المعارف
١٥٤	الدولة الموحدية وآثارها فى العلوم والمعارف
١٥٦	الدولة المرينية وآثارها فى المعارف
١٦٠	الدولة الوطاسية وآثارها
١٦١	الدولة السعدية وآثارها فى العلوم والآداب
١٦٤	الدولة العلوية وآثارها فى المعارف
١٦٧	المدارس العلمية بأسفى
١٦٩	خزائن الكتب العامة
١٦٩	خزانة الجامع الأعظم
١٧٢	خزانة الزاوية الدرقاوية
١٧٢	خزانة الزاوية القادرية
١٧٢	خزانة الزاوية التجانية

الصفحة

الموضوع

١٧٤	الحالة العلمية في الدور الأخير
١٧٥	الأخلاق الفاضلة
١٨٠	الحالة العمرانية والاقتصادية
١٨٠	الصناعات
١٨٣	الحالة التجارية
١٨٨	الحالة الزراعية
١٩٠	الحالة المائية
١٩٢	الأودية
١٩٣	الغابات
١٩٦	المعادن
١٩٦	معدن الفوسفات
١٩٦	معدن الرصاص
١٩٦	معدن البوتاس
١٩٧	بحيرة زيمة